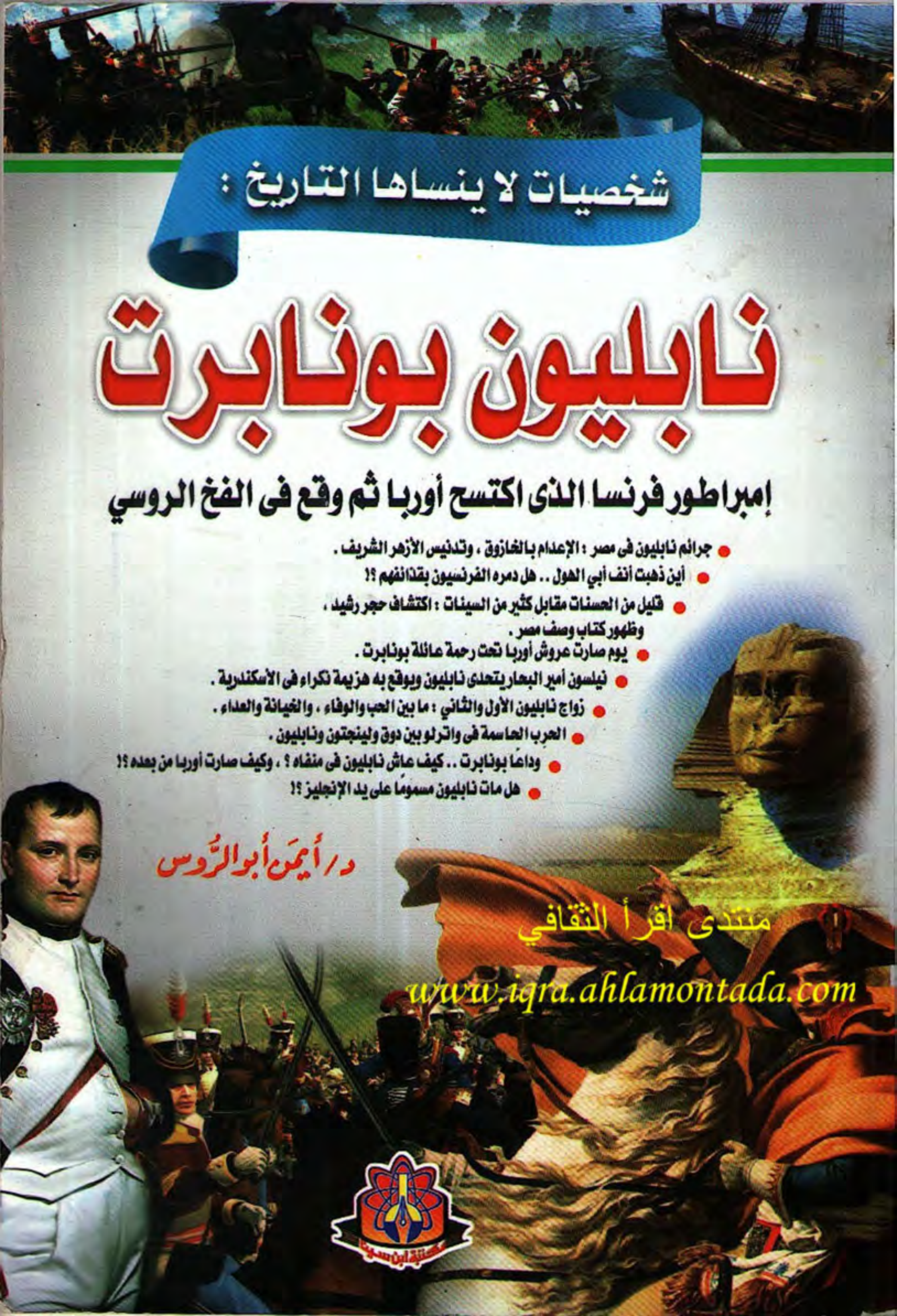

شخصيات لا ينساها التاريخ :
نابليون بونابرت
إمبراطور فرنسا الذى اكتسح أوربا ثم وقع فى الفخ الروسي
جرائم نابليون فى مصر : الإعدام بالخازوق ، وتدنيس الأزهر الشريف .
أين ذهبت أنف أبي الهول .. هل دمره الفرنسيون بقذائفهم ؟!
قليل من الحسنات مقابل كثير من السيئات : اكتشاف حجر رشيد ، وظهور كتاب وصف مصر .
يوم صارت عروش أوربا تحت رحمة عائلة بونابرت .
نيلسون أمير البحار يتحدى نابليون ويوقع به هزيمة نكراء فى الأسكندرية .
زواج نابليون الأول والثاني : ما بين الحب والوفاء ، والخيانة والعداء .
الحرب الحاسمة فى واترلو بين دوق ولينجتون ونابليون .
وداعًا بونابرت .. كيف عاش نابليون فى منفاه ؟ ، وكيف صارت أوربا من بعده ؟!
هل مات نابليون مسمومًا على يد الإنجليز ؟!
د / أيمن أبو الرُّوس
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

شخصيات لا ينساها التاريخ..

نابليون بونابرت

إمبراطور فرنسا الذى اكتسح أوربا ثم وقع فى الفخ الروسي

- جرائم نابليون فى مصر: الإعدام بالخازوق، وتدنيس الأزهر الشريف .
- أين ذهبت أنف أبي الهول .. هل دمره الفرنسيون بقذائفهم؟!
- قليل من الحسنات مقابل كثير من السيئات : اكتشاف حجر رشيد، وظهور كتاب وصف مصر.
- يوم صارت عروش أوربا تحت رحمة عائلة بونابرت.
- نيلسون أمير البحار يتحدى نابليون ويوقع به هزيمة نكراء فى الأسكندرية.
- زواج نابليون الأول والثانى : مابين الحب والوفاء، والخيانة والعداء.
- الحرب الحاسمة فى واترلو بين دوق ولينجتون ونابليون.
- وداعا بونابرت.. كيف عاش نابليون فى منفاه ؟، وكيف صارت أوربا من بعده؟.
- هل مات نابليون مسموما على يد الإنجليز؟

د. أيمن أبو الروس



مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

نافذتك على الفكر العربي والعالمي من خلال ما تقدمه لك من روائع الفكر العالمي والكتب العلمية والأدبية والطبية ونوادر التراث واللغات الحية. شعارنا: قدم الجديد..

وبسعر أرخص

يشرف عليها ويديرها

مهندس

مصطفى عاشور

٧٦ شارع محمد فريد ـ النزهة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة

تليفون: ٢٦٢٧٩٨٦٢ - ٢٦٢٨٩٢٧٢ فاكس: ٢٦٢٨٠٤٨٢

Web site: www.ibnsina-eg.com

E-mail : info@ibnsina-eg.com

ابو الروس، أيمن

شخصيات لا ينساها التاريخ.. نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوربا ثم وقع في الفخ الروسي/ أيمن أبو الروس.

ط١- القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠١٣.

١١٢ ص، ٢٠ سم

تدمك ٨ ٠٣١ ٤٤٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١- نابليون الأول، نابليون بونابرت ١٧٦٩- ١٨٢١.

٢- الملوك والحكام

أ- العنوان. ٩٢٣.١

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٥٤٩٩

الترقيم الدولي: 978-977-447-031-8

تصميم الغلاف: إبراهيم محمد إبراهيم

الإخراج الفني: وليد مهني علي

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعو

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ ـ هاتف: ٤٣٥٣٧٦٨ ـ ٤٣٥١٩٦٦ ـ ٤٣٥٩٠٦٦

فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧

E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة

تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩



مثلما يتعلق الكاتب بقلمه، والموسيقي بقيثارته، والرّبان بسفينته، كان نابليون متعلقاً بالأداة الحربية، ومغرماً بشن الحروب والغزوات.. حيث كان هذا المجال هو شاغله الأكبر، ومحل اهتمامه واستمتاعه، بل أنه وهب له كل حياته، وكأنه خُلق ليكون محارباً.. بينما كانت الحياة المدنية المسالمة، كما قال المقربون منه، تمثل عدوه الشخصي. فقد كان خشن الطبع، غير ميالٍ للأحاديث الاجتماعية، غير مقبل على التودد للآخرين وملاطفتهم، ولاتستهويه الموسيقى والفنون، وكان أغلب ما يقرأه من كتب وأشعار مرتبطاً بسير المحاربين العظماء، كما كان شغوفاً بصفة خاصة بفتوحات وحروب الإسكندر الأكبر، وبطولات يوليوس قيصر.

أراد لفرنسا أن تكون إمبراطورية عظمى، وتكون باريس بمثابة روما القديمة عاصمة إمبراطورية الرومان القوية، وعلى الرغم من ذلك لم يكن نابليون فرنسياً أصيلاً، فلم يتقن لغتها تماماً لفترة طويلة حيث كانت لهجته تحمل بعض الاختلاف عن لهجة سائر أهلها .. فقد جاء من أسرة إيطالية الأصل سكنت جزيرة كورسيكا بجنوب فرنسا.

لقد استطاع نابليون ذلك الكورسيكي قصير القامة، محدود البنية الممتلئ بالطموح والثقة بالنفس، أن يغير وجه أوربا بحروبه، وأن يوسع من نفوذ فرنسا الخارجي إلى حد بعيد.

وأقام بذلك إمبراطورية عظمى جعل أفراد أسرته ملوكاً على عروشها فى كثير من الدول التى فتحها، وفرض نفوذه عليها، وقد امتد طموحه تجاه الشرق حيث الأراضى الجليدية فى روسيا محاولاً ضمها إلى إمبراطوريته .

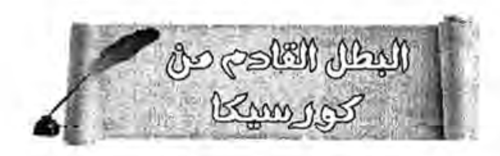
أما فى مصر، فلنا ذكريات كثيرة لاتنسى مع حملته التى قادها على مصر والشام، والتى خلفت بعض الإنجازات الهامة، ولكن ذلك جاء فى مقابل كثير من الجرائم والبشاعات التى اقترفها الجيش الفرنسي فى حق المصريين الأبرياء، وفى حق منارتهم الإسلامية التى تمثلت فى الأزهر الشريف الذى دخلته جيوش نابليون بخيولهم.

فكيف كانت حياة ذلك المحارب الفذ؟، وإلى أين وصلت حدود إمبراطوريته ؟

إنها حقاً أمور مدهشة مثيرة.. تعالوا نتعرف عليها من خلال هذا الكتاب.

مع تمنياتي بجولة ثقافية ممتعة...

المؤلف





• جزيرة المناضلين:

وُلد نابليون بونابرت(نابليون الأول)فى 15 أغسطس سنة 1769م فى جزيرة كورسيكا الواقعة بالبحر المتوسط تجاه الجنوب الفرنسي، وفى غرب إيطاليا فى بلدة أجاكسيو.

وهى جزيرة جميلة بديعة المناظرتتميز بكثرة الجبال الخضراء، والغابات الكثيفة، وأشجار الصنوبر والقسطل.. تحيط بها مياه البحر الزرقاء من كل جانب، وتعلوها سماء صافية لفترة طويلة على مدار العام، ولكن أهلها لم يكونوا بمثل هذه الرقة، والوداعة التى تميزت بها بيئتهم، وإنما كانوا مناضلين عنفاء شجعان محاربين أقوياء، خاضوا معارك كثيرة متلاحقة ضد الحكم الإيطالي المستبد من أجل استقلال جزيرتهم عن جزيرة جنوا... ثم خاضوا من بعد ذلك معارك أخرى ضد الحكم الفرنسي الباطش. ولذلك كان من الشرف والفخر أن يكون الرجل كورسيكياً.

قبل مولد نابليون بعام واحد غزا جيش الملك الفرنسي

لويس السادس عشر الجزيرة، وقام بضمها إلى فرنسا، وبذلك تحولت أسرة نابليون إيطالية الأصل إلى أسرة فرنسية.



جزيرة كورسيكا المتنازع عليها بين إيطاليا وفرنسا

• أسرة نابليون:

• الأب:

هو شارل دى بونابرت ..إيطالي الأصل انتمى لأسرة من فلورنسا .. وكان رجلاً رشيق الجسم رقيق الملامح عُرف عنه حبه للشعر والبلاغة، وقد شغل بالإضافة لأربعة آخرين من أسرة نابليون منصباً مهماً فى مجلس إدارة الجزيرة، وعُرف

عنه كذلك ميله للإسراف والتبذير، ولذلك كان يسعى من خلال أعمال تجارية، وأنشطة مختلفة لكسب المال، وتوفير المعيشة الكريمة لأفراد أسرته.

• **الأم:**

هى مارى ليتشيا رامولينو..وقد اختلفت فى كثير من الطباع التى اكتسبها زوجها..فقد كانت امرأة صارمة حادة الطباع شديدة الثقة بنفسها تفرض هيبتها على الجميع..، كما تميزت بجسم رشيق ووجه جميل، وعقل سديد.

لذلك فإنها كانت موضع إعجاب وتقدير الآخرين، وعلى عكس زوجها فإنها عاشت مدبّرة مقتصدة إلى حد البخل.

ويبدو أن نابليون قد ورث كثيراً من صفات أمه أكثر مما ورث من أبيه.

والزائر لمتحف فرساى بباريس يرى لها صورة فنية تُظهر وجهها الجميل، وأناقة ملابسها. وكان نابليون هو الطفل الثانى للأسرة، وجاء بعده أبناء وبنات آخرون. أما أخوه الأكبرفهو جوزيف.

وسط تلك الأسرة وتلك البيئة نشأ نابليون.. فاكتسب صفات الجمال والرشاقة، والشجاعة والإقـدام، والثقة الشديدة بالنفس.

• الضابط الشاب:

أظهر نابليون منذ صغره شغفه للحروب والمعارك، وتولّى القيادة..وتمنى بداخله أن يصبح بطلاً حربياً.

انفصل عن بيئته، ومسقط رأسه فى سن مبكرة.. حيث غادر كورسيكا إلى فرنسا فى سن العاشرة من عمره ليلحق بمدرسة حربية بباريس. وبدأ تعلّم اللغة الفرنسية..وقد حقق بذلك شيئاً من طموحه لكنه لم يكن سعيداً بين زملائه للهجته الغريبة وحاله المتواضع بالنسبة لهم... فشعر بأنه على أرض معادية يتحدث لغة غريبة عن لغة أهلها، وقد دفعه ذلك للعبوس..واشتهر بين زملائه بالخشونة والجفاء. وكان نابليون طالباً ذكياً حيث برع فى العلوم الرياضية بصفة خاصة، وأشاد معلموه بمهارته فى هذا المجال. لكنه فى نفس الوقت كان شغوفاً بدراسة التاريخ والجغرافيا، وميالاً لمعرفة سير القادة الحربيين العظماء، والحروب الكبيرة التى أدت لتعاقب الدول والإمبراطوريات، كما كان يميل فى أوقات فراغه لقراءة قصص وروايات تحكي عن أبطال الحروب، وتمنى بداخله أن يصبح أحد أبطال تلك الروايات كالتى كتبها "بلوتارك"، و"بوسيويه" فى تلك الفترة والتى توافقت مع ميوله وتطلعاته القتالية، وربما ولّدت بداخله طموحاته الحربية، وفى سن السادسة عشرة من عمره التحق بالجيش الفرنسي، وأراد له أبوه الالتحاق بسلاح البحرية لكنه اختار سلاح المدفعية الذى وجده ملبياً لرغبته بدرجة أفضل فى تعلم فنون الحرب والمناورات، والتى تعتمد على المهارة

والذكاء أكثر مما تعتمد على الهيئة الضخمة والجسم القوى.. وهو ما افتقر له نابليون حيث كان جسمه يميل للقصر، وهيئته متواضعة.

تخرج نابليون فى المدرسة الحربية، وعمل كملازم ثانٍ بالجيش الملكى. واشتهر بين زملائه بشخصيته القوية ورباطة جأشه، وثقته الكبيرة بنفسه.وفى تلك الفترة مات أبوه، وتدهورت حالة أسرته المادية، وصار مكلفاً برعاية أمه وإخوته، لكن راتبه الشهري من العمل بالحربية كان محدوداً، ولم يكن يكفى لتحقيق ذلك الغرض لذلك عاش حياة متواضعة، وكان شديد الاقتصاد والتدبير فلم ينل شيئاً كافياً من المرح والترفيه كحال كثير من زملائه الذين كانوا يترددون على الملاهى والنوادى الليلية، وذلك حتى يتسنى له توفير المال الكافى لأسرته التى كان يكن لها حباً شديداً، وقد حركت بداخله تلك الحياة المتواضعة مزيداً من التطلعات والطموحات العسكرية للوصول إلى النفوذ والمجد، ورغد العيش.



نابليون الشاب فى بداية حياته العسكرية كملازم فى سلاح المدفعية

• عاشق الفلاسفة والشعراء:

عاش الملازم الشاب نابليون فى تلك الفترة فى حجرة صغيرة وضيعة فى باريس، وكان يقضي أغلب لياليه فى القراءة.. فكان عاشقاً لكتابات الفلاسفة والشعراء فضلاً عن شغفه الشديد بقراءة كتب التاريخ، ومسيرات الأبطال.

فى تلك الفترة من القرن الثامن عشر، ظهر على الساحة الفرنسية مجموعة من أبرز الفلاسفة والمفكرين، الذين هاجموا نظام الحكم الفرنسي المستبد، ودعوا لحياة أخرى تسودها الحريةوالكرامة والعدالة، وكان من أبرزهم "فولتير" صاحب الكلمات الرشيقة والمعانى المؤثرة، و"رينال"، و"روسو" وغيرهم.. والذين نادوا جميعاً بحياة إنسانية يحكمها العقل والمنطق بعيداً عن نظم الاستبداد والعبودية.

كان يقرأ كذلك مؤلفات "كورنى"، و"راسين" وهما من أكبر كتاب المسرح فى تلك الفترة، واللذين دعيا من خلال أعمالهما إلى حياة كريمة إنسانية، كما أن شاعره المفضل هو "أوسيان" وهو شاعر أيرلندى قديم حكى فى أشعاره عن أبطال القبائل التى انتقلت من اسكتلندا للعيش فى أيرلندا.

إن كل تلك المؤلفات والأشعار والأفكار الفلسفية، لاقت قبولاً كبيراً فى نفس نابليون، وكانت بمثابة تربية عقلية وفكرية له، وزادت من كرهه للأوضاع التى عاش فى ظلها فى فرنسا، والتى عاشت أسرته كذلك ضحية لها فى كورسيكا، وزاد كرهه للملوك بل وللرهبان الفرنسيين وسلوكهم، وحَلُمَ بثورة تحطم ذلك الواقع الأليم، وتفتح الباب لحياة أكثر إنسانية حتى جاءت الثورة بالفعل!!



• كيف عاش الفرنسيون فى ظل حكم لويس السادس عشر ؟

لويس السادس عشر ملك لاينساه التاريخ.. صعد إلى عرش الحكم وهو لايزال فى سن التاسعة عشرة من عمره، وكان ضعيف الشخصية خاضعاً لرغبات زوجته الحسناء المدللة "مارى أنطوانيت" نمساوية الأصل التى اشتهرت بالإسراف والتبذير، مما أثار غضب الفرنسيين الذين كانوا يعانون من الفقر والجوع.

عاش الملك وزوجته فى قصرهما الفاخر فى فرساى الذى أنفق لويس السادس عشر على تجهيزه وتأسيسه أموالاً طائلة، غير عابئ بمعاناة الشعب، واستمر فى تجاهله لمطالبهم المشروعة فى الحياة الكريمة، كما كان يزج بمعارضيه فى الحكم فى سجن "الباستيل" الشهير والذى اعتبر فى التاريخ رمزاً للظلم والاستبداد.وفى سنة 1789م اندلعت الثورة الفرنسية بعدما وصلت حالة البلاد المتدنية إلى حد لا يمكن السكوت عليه، وقام الثوار بمهاجمة سجن "الباستيل" بباريس، ووضعوا لويس وزوجته تحت الحراسة، وبدلاً من محاولة لويس إرضاء الثوار الثائرين وتخفيف حدة غضبهم، اختار الهرب

مع زوجته خارج باريس على عربة يجرها حصان، ولكن الثوار استطاعوا إعادته حيث اتهم بالخيانة، وفى سنة 1793م أعدم الملك بقطع رأسه بالمقصلة، ثم لاقت الملكة نفس المصير بعد مرور تسعة أشهر وفى نفس المكان بأحد ميادين باريس



لويس السادس عشر... الحاكم المستبد الذى لاقى وزوجته مصيريهما بالإعدام بالمقصلة.



شهد يوم 14 يوليو سنة 1789م حدثاً تاريخياً بارزاً حيث قام الثوار بمهاجمة سجن "الباستيل" بباريس وأضرموا فيه النيران ...الذى كان رمزاً لاستبداد وطغيان لويس السادس عشر.

• الدستور الجديد والمرحلة الانتقالية:

قام الثوار بإعداد دستور جديد للبلاد ..ولكن فى الحقيقة أن أمور البلاد المضطربة لم تهدأ، فقد ظلت البلاد لفترة طويلة فى حالة من الارتباك والفوضى خلال مرحلتها الانتقالية من الملكية للجمهورية حيث ظهرت حركات معارضة للثورة، وانتشرت أعمال العنف فى البلاد، وأعد مجلس الثورة المقصلة من جديد للقضاء على المعارضين من أعداء الثورة.

• شعار الثورة:

وعلى الرغم من أن الشعار تلخص فى ثلاث كلمات وهى:



- الحرية (liberté)
- المساواة (Egalité)
- الإخاء (Fraternité)

إلا أن واحدة من تلك الكلمات لم تتحقق لفترة طويلة..

• نابليون والثورة.. والحلم بكورسيكا جديدة:

عندما اندلعت الثورة، كان شاغل نابليون الأكبرهو موطن رأسه كورسيكا وأهله هناك ..حيث فتحت له باب الأمل فى تحريرهم، وأهالى بلدته من حياة الفقر والظلم والاستبداد، وتوفير الحرية، والحياة الكريمة لهم فى ظل كورسيكا جديدة، وفى نفس العام الذى اندلعت فيه الثورة الفرنسية سافر نابليون برفقة أخيه جوزيف إلى بلدته "أجاكسيو" فى كورسيكا والتى عرفت ببلدة الصيادين، ولعب هناك دور البطل الشعبى المناضل.. حيث قام بترأس حركة مناهضة لحكم الأشراف والنبلاء، والقساوسة، وكوّن جيشاً غيرنظامي استعداداً لإسقاط الحكم المستبد فى كورسيكاغيرعابئ بأن ذلك يعد مخالفاً لوظيفته فى الجيش الفرنسي. لكن نضاله لم يطُل..ففى نفس تلك السنة ألغت الثورة نظام الحكم القديم فى كورسيكا حيث أصبحت الجزيرة تابعة لنظام الحكم الديمقراطي فى فرنسا، فعاد نابليون إلى فرنسا مرة أخرى.لكن الاضطرابات التى شهدتها الجزيرة لم تهدأ ..فمثلما ظهر أعداء ومعارضون للنظام الثورى الجديد فى فرنسا، حدثت حركات تمرد ضد الثورة فى كورسيكا تزعمها "باءولى" زعيم الثوار والذى اعتبر ملكاً غير متوَّج للجزيرة .. وقد اتخذ موقفاً مضاداً لنابليون، وأسرته فى كورسيكا باعتباره منحازاً للجيش الفرنسي.

بورتريه لنابليون فى سنة 1796 م بمتحف اللوفر بباريس..بعدما حقق نجاحاً عسكرياً ملحوظاً، وذاع صيته كمحارب ماهر.

• العودة إلى كورسيكا من جديد:

فى سنة 1792م حلف نابليون قسم الجمهورية بعد سقوط الملكية، وترقَّى إلى رتبة يوزباشى بسلاح المدفعية، وأُرسل إلى جزيرة كورسيكا مرة أخرى، وبقى بها لمدة طويلة حيث كان مكلفاً بفض حالة الشغب التى أحدثها الكورسيكيون ضد قادة الثورة، وكان شديد الاهتمام بأمور جزيرته، وبرعاية

أسرته، ومن هناك خاض بعض المعارك الحربية التى جعلته معروفاً بين قادته بالكفاءة، والمهارة الحربية.فمن هناك ترأس حملة عسكرية لغزو جزيرة "سردينيا" المجاورة، وأحرز نجاحاً عسكرياً فى بادئ الأمر لكن حملته لاقت مقاومة شرسة من السردينيين، ولم تكلل بالنجاح، كما شارك فى الاستحواذ على مدينة "طولون" من أيدى أنصار الملكية الذين ساندتهم السفن الإنجليزية والأسبانية بعدما اتخذت تلك الدول موقفاً مضاداً للثورة، ثم استُدعى نابليون إلى باريس مرة أخرى لوقف عمليات الشغب بالمدينة، كما عُهد إليه بأمر الدفاع عنها حيث قام بنشر القوات فى شوارع المدينة، واستطاع إعادة الهدوء والأمن لها، وبفضل نجاحه فى إخماد حركات التمرد ضد الحكومة الثورية الجديدة كوفئ نابليون بترقيته كقائد للجيوش الفرنسية فى إيطاليا.. وكان عمره حينذاك سبعة وعشرين عاماً.

• زواج نابليون:

قبل سفره إلى إيطاليا بفترة قصيرة تزوج نابليون من امرأة حسناء كانت تنتمى للطبقة الراقية الثرية، وهى "جوزفين بوهارنيه" التى كانت أرملة لأحد الجنرالات الفرنسيين، وكان نابليون شديد التعلق بها والوفاء لها، وقد ساعده انتماؤه للطبقة الراقية من خلال ذلك الزواج على تدعيم مستقبله كضابط حربى، وعُرفت جوزفين فيما بعد بين الباريسيين باسم "سيدة

الانتصارات" حيث كانت الزوجة الناجحة المساعدة لزوجها الذى استطاع بعد زواجه منها تحقيق عدة نجاحات متتالية فى عمله العسكرى، وأصبح من القادة الفرنسيين البارزين، والزائر لمتحف اللوفر بباريس يشاهد لوحة فنية رائعة لجوزفين الحسناء.

- **ولكن.. ماذا عن أسرة نابليون؟**

لقد اضطرت أم نابليون واخوته إلى مغادرة كورسيكا بسبب تجدد أعمال العنف والشغب هناك ضد الثورة حيث استقر بهم الحال فى مرسيليا، واستمر نابليون فى إخلاصه المعهود لأسرته والعناية بها.





• إيطاليا ..المتنازع عليها:



وقف أغلب ملوك أوربا ضد الثورة الفرنسية التى وجدوها تهدد مصالحهم ونفوذهم، وتمثل تحريضاً لشعوبهم ضدهم، واستمر الصراع بين قادة الثورة والمجتمع الأوربى لفترة دامت نحو أربع سنوات تخللتها فتن، ومؤامرات كثيرة ضد الثورة والجيش الفرنسي، وشهدت إيطاليا أكبر وأقوى تلك الصراعات التى كُلِّف نابليون بالقضاء عليها. كانت إيطاليا فى تلك الفترة تحت سلطة وسيادة أكثر من جهة..حيث كانت خاضعة لحكم ملك جزيرة سردينيا من جهة، وللنمسا من جهة أخرى التى كانت قد احتلت أجزاء منها، وللبيت الملكى البوربونى فى نابولى التابع للعائلة الملكية السالفة من جهة ثالثة، وقد شكل الأطراف الثلاثة تحالفاً ضد فرنسا بعد قيام الثورة، كما كان البابا على خلاف أيضاً مع الجمهورية الفرنسية الجديدة التى قلّلت من شأن الكنيسة، وأدرجتها تحت سلطتها، كما خضعت أجزاء من إيطاليا لحكم

البندقية (فينيسيا)، وحكم مقاطعة توسكانيا، وكلاهما اتخذ موقفاً محايداً.

كانت مهمة نابليون هناك القضاء على القوى المتحالفة ضد فرنسا، والتى كان أبرزها وأقواها النمسا، وقد اختير لتلك المهمة لجدارته الحربية، وكفاءته فى القيادة، وكان الجيش الفرنسى قد حاول قبل مجيء نابليون إلى هناك تنفيذ تلك المهمة لكنه أحرز نجاحاً محدودًا وبطيئاً، ولم ينجح فى الاستيلاء إلا على "سافوى" فى الشمال الإيطالي.

• معارك نابليون على أرض إيطاليا:

خاض نابليون عدة معارك ناجحة، وحقق عدة انتصارات متلاحقة رفعت من شأنه أكثر وأكثر، وجعلته بطلاً حربياً من الطراز الأول.

جاءت الانتصارات فى إيجاز، على النحو التالى:

• موقعة مونتنوت:

نزل جيش نابليون بشمال إيطاليا، وأوقع بالجيوش المتحالفة المعادية التى كانت فى انتظاره هزيمة كبيرة فى "مونتنوت"، واستمر فى مطاردتها فى اتجاه "تورين".

• الاستيلاء على ميلان:

توجه نابليون إلى ميلان (ميلانو) لملاقاة النمساويين، وكان قائدهم "بوليه" قد حشد جيشه هناك لحماية المدينة

لكن نابليون أعد خطة حربية ذكية جعلته يحقق انتصاراً كبيراً عليه عند جسر "لودى"، وأجبره على التقهقر، وبذلك صارت ميلان تحت سيطرة نابليون، وفى أثناء ذلك جاءت جيوش من نابولى لمساندة الجيش النمساوى، لكنها لم تجد أمامها فرصة لتغيير مسار الحرب، فعادت متخاذلة إلى الجنوب من حيث جاءت.

- **حصار مدينة مانتوا:**

إن من أبرز المعارك التى خاضها نابليون ضد النمساويين تلك التى حاول من خلالها الاستيلاء على مدينة "مانتوا"، وقضى خلالها وقتاً طويلاً فى حصار تلك المدينة القوية المنيعة الواقعة على نهر منشرو، ففى تلك المعركة برزت بوضوح مهارة نابليون الحربية حيث كان عدد الجيوش النمساوية أكبر بكثير من الجيوش الفرنسية، وأرسل النمساويون جيوشهم لفك حصار المدينة أربع مرات لكنهم لم يفلحوا فى مهمتهم .

بلغ عدد أول تلك الجيوش نحو خمسين ألف محارب تحت قيادة "فرمزر" بينما بلغ عدد الجيش الفرنسي نحو اثنين وأربعين ألفاً فقط، لذلك كان من المتوقع أن يفوز النمساويون فى تلك المعركة لكن مهارة الجيش النمساوي لم تكن بمهارة الجيش الفرنسي حيث أخطأ النمساويون فى تقسيم قواتهم مما أضعف من قوتهم، وشتت شملهم، واستطاع بذلك جيش نابليون هزيمة جيش "فرمزر" فى موقعة "كاستليونه"، واستأنف الجيش

النمساوي هجومه مرة أخرى لمحاولة فك الحصار لكنه في تلك المرة كان أقل عدداً وأكثر تفككاً، وعاد القائد النمساوي " فرمزر " خاسراً للمرة الثانية، وقد تكررت المحاولة للمرة الثالثة تحت قيادة "ألفنتزى" الذى كان من أمهر المحاربين النمساويين...لكن النمساويين لم يتعلموا من الدروس السابقة، فوقعوا فى خطأ تقسيم قواتهم مرة أخرى.وتوالت أحداث المعركة بين الطرفين بين إخفاق وفوز لكليهما، ولكن فى النهاية رجحت كفة الجيوش الفرنسية حيث استطاع نابليون محاصرة جيش "ألفنتزى" حصاراً كاملاً عند "قلعة أركولا"، وتحقيق النصر لنابليون بينما انسحب الجيش النمساوي خاسراً، وبعد مرور أربعة أشهر تكررت المحاولة الأخيرة بقيادة ألفنتزى الذى جاء بجيش ضخم فاق بشكل واضح عدد أفراد الجيش الفرنسي. فى تلك المعركة اعتمد النمساويون فى الحرب على فرق المشاة والخيالة بينما لجأ الفرنسيون إلى التمركز فوق القمم العالية المشرفة على هضبة المعركة، وهو ما جعلهم فى وضع حربي استراتيجي أفضل مكنهم من تحقيق الانتصار. وبسقوط "مانتوا"وانسحاب الجيش النمساوي حقق نابليون انتصاراً كبيراً على الأرض الإيطالية.

- **استسلام النمسا:**

استمر نابليون فى الزحف والتقدم بجيشه داخل إيطاليا حيث استولى على مواقع هامة فى البندقية كان من أبرزها

منطقة "ريفولى" التى شهدت معارك ضارية ..كما استطاع فرض سيطرته على توسكانا، ونجح فى حصار "بولونيا" التى كانت خاضعة للممتلكات الباباوية، وأرغمها على الاستسلام، وجاءت قوات نمساوية من الخارج لتنضم إلى القوات الموجودة بإيطاليا، لكنها لم تستطع الصمود أمام جيش نابليون فاضطرت النمسا للاستسلام فى فبراير1797م، وبعد مضي أسبوعين، اضطر البابا كذلك إلى عقد معاهدة "تولنتينو" للصلح مع نابليون، وتنازل بموجبها عن بولونيا، كما أعلن ملك "سردينيا" الاستسلام، وأملى عليه نابليون شروطه وهى: تسليم القلاع الحربية، وانسحابه التام من الحرب.

• جمهورية الألب الشمالية:

بذلك أصبح نابليون مسيطراً على أجزاء كبيرة من إيطاليا، وصار شمالها تحت سيادته التامة. وقد فرض نابليون على تلك المدن التى فتحها نظاماً للحكم المحلى على غرار النظام الفرنسي، وجمعها كلها تحت اسم "جمهورية الألب الشمالية Cisalpine Republie " التى خضعت للحماية، والسيطرة الفرنسية.

• نابليون المنتصر فى قصره الفاخر:

فى قصر "مومبلو الفاخر" قضى نابليون المنتصر فترة صيف سنة 1797م، فى الوقت الذى استمرت فيه المفاوضات

مع النمسا، وخضعت فيه المدن الإيطالية لنظام الجمهوريات الجديدة، ففى تلك الفترة عاش نابليون بمثابة ملك لم ينقصه سوى التاج الموضوع على الرأس..وكان يستقبل السفراء، ويقيم المآدب العامة.. ويمضي فى موكب يحرسه أعداد كبيرة من الجنود، وقد انهالت على القائد المنتصرالقصائد الشعرية الإيطالية التى صورته بطل الزمان، وبتلك الانتصارات تبلورت صورة نابليون القائد الحربي العظيم بقامته المحدودة، وعينيه الرماديتين المشعتين ببريق أخاذ، وحاجبيه الكثيفين، وقبعته المميزة، وسترته الطويلة المتدلية من خلفه.



نابليون المنتصر فى زيه التقليدي

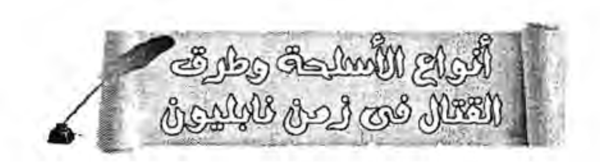
• معاهدة كامبو فورميو:

فى قصره الفاخر وقّع القائد المنتصر نابليون مع النمسا معاهدة "كامبوفورميو" فى17 أكتوبرسنة 1798م التى اقتضت تنازل النمسا عن بلجيكا، وعن حدود الرين الفرنسي، واعترافها بجمهورية الألب الشمالية التى أسسها نابليون، بينما اقتصرت سيادة النمسا على الجزء الشرقي من البندقية.

• القوتان المتنافستان:

لقد حققت سلسلة الانتصارات التى خاضها نابليون مجداً كبيراً لفرنسا، وأضافت إلى نفوذها الخارجى حيث أصبحت فرنسا أكبر قوة على الأرض..بينما كانت بريطانيا بأسطولها المنيع أكبر قوة فى البحر حيث بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين الطرفين لمحاولة كل منهما فرض نفوذه على الآخر. ولكن قبل أن نتناول أحداث ذلك الصراع الدامي بين الطرفين، دعونا نأخذ فكرة عن طرق القتال، والأسلحة المستخدمة فى الحروب فى تلك الفترة من الزمن..ونتعرف كذلك على الزي العسكري المميز للجنود الفرنسيين فى جيش نابليون.





• تطور الأسلحة فى القرن الثامن عشر:



كانت الحروب القديمة التى دارت خلال القرن السابع عشر الميلادى، أى قبل مجيء نابليون بعشرات السنين تعتمد على استخدام بنادق، ومدافع بدائية إلى حد كبير.. فكانت البنادق تُحشى من فوهتها، وكانت مدفعية الميدان يحملها المحاربون فى عناء، ويجدون مشقة فى استعمالها.. لذلك كان استخدام الأسلحة النارية محدوداً فى ساحة القتال، واستخدم الجنود عدداً محدوداً من الطلقات النارية، واعتمد المحاربون بدرجة أكبر على استخدام السيوف والحراب، وبذلك كان سلاح الخيالة الذى يشتمل على الجنود من حملة السيوف وأسنة الحراب هو السلاح الأساسى بالإضافة لحملة البنادق ورجال المدفعية، كما كان يتم تنظيم هذه الفرق الثلاثة بطرق معينة حسبما تستدعى الحاجة، ومن الواضح من ذلك أن الغَلَبة فى تلك الحروب كانت تعتمد على عدد الجنود

وليس على كفاءة الأسلحة النارية التى كانت بدائية غير عملية بطيئة الاستخدام.



كان استخدام المنظار والبوصلة، والخرائط من الابتكارات الشائعة فى حروب نابليون لتحديد المواقع، ودراسة ساحة القتال والتوصل لأفضل الطرق الحربية.

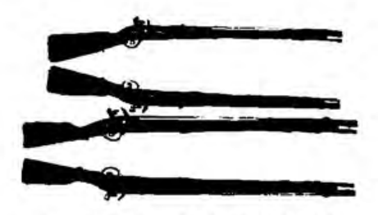
أما خلال القرن الثامن عشر فحدث تطور كبير فى الأسلحة المستخدمة، وتبعاً لذلك تطورت طرق وفنون القتال حيث صارت البنادق تُحشى بعدد كبير من الطلقات النارية، وصار بإمكان الجندى إطلاق عدة طلقات فى الدقيقة الواحدة، كما تطورت مدفعية الميدان، وصارت سهلة التنقل والاستخدام، كما ظهر نوع جديد من المدفعية التى تجرها الخيل والتى تسمى

المدفعية الراكبة، كما ظهر نوع جديد من المدافع اكتسب اسم "مدفع جريبو فال" حيث إنه حمل اسم مخترعه "جريبوفال" الذى كان ضابطاً بجيش لويس الخامس عشر، فكان مدفعاً فعالاً بدرجة كبيرة مجهزاً لإطلاق عدد كبير من الطلقات النارية، وتبعاً لذلك تغيرت فنون وطرق القتال حيث صار سلاح المدفعية يشغل ركناً كبيراً ومهماً فى ساحة الحروب، فلم تعتمد الحروب تبعاً لذلك على عدد الجنود بقدر ما اعتمدت على كيفية تسليحهم، وتوزيعهم فى ساحة المعركة، وعلى جانب آخر شهد مجال الحروب صحوة فى فنون الحرب وطرق تنظيم الجنود وابتكار الحيل التى تربك الطرف الآخر، وكيفية دراسة أرض المعركة واستخدام البوصلة، والمصورات فىتحديد الأماكن. وقد ظهر عدد كبير من الكتاب الحربيين الفرنسيين الذين تناولوا تلك الأمور فى كتاباتهم من أمثال "جيبير، وبورسيه، وجريبوفال" أما نابليون نفسه فلم يخترع شيئاً جديداً فى مجال التسليح أو التجهيز الحربي، لكنه استفاد جيداً من تلك التطورات التى شهدها مجال الحرب، ومن الكتابات الحربية عن فنون المعارك والقتال التى وضعها الكتاب الفرنسيون. ففى كثير من حروبه على سبيل المثال، لجأ لاستخدام ما يسمى بطريقة النظام المزدوج.. تلك الطريقة التى وصفها "جيبير" فى كتاباته والتى اعتمدت على استخدام الخطوط الأمامية المزودة بالأسلحة النارية مع الكتائب المتراصة الهاجمة باستخدامها بالتعاقب، كما كان نابليون ذكياً فى وضع الخطط العامة

للحروب من حيث توزيع الفرق فى الميدان، والتركيز على نقاط الضعف عند العدو، واللجوء إلى طريقة المباغتة والمفاجأة فى الهجوم.. أما الخطط الفرعية فتركها لضباطه حسبما تستدعى الحاجة، وأصبح الجيش الفرنسي بوجه عام بعد الثورة أفضل وأقوى جيوش أوربا حيث بلغ مستوى رفيعاً من التجهيزات، والتنظيمات، واستخدام الأسلحة الحديثة.



استخدم سلاح الخيالة فى عصر نابليون أنواعا متطورة من البنادق سهلة الحمل، ومجهزة لإطلاق عدة طلقات نارية فى الدقيقة الواحدة.



مجموعة من البنادق المتطورة التى شاع استخدامها فى حروب نابليون.



نابليون يستعرض الحرس.. الذى تزوّد ببنادق متطورة مزودة بسيف حاد.



يظهر فى هذه الصورة مدفعية ميدانية سهلة الحركة تجرها عجلات كبيرة من الأنواع التى استخدمت بكثرة فى حروب نابليون.

الزي العسكري المميز للضباط والجنود فى جيش نابليون

• الجيش الفرنسي الأنيق:



مثلما حدث تطور فى مجال التسليح الحربي، وطرق القتال خلال القرن الثامن عشر حدث كذلك تطور فى شكل ملابس الضباط والجنود، وتميز الجيش الفرنسي بصفة خاصة بزي أنيق جذاب.



ثلاثة جنود من عصر الثورة الفرنسية بزيهم المميز..وهم من اليمين إلى اليسار، جندي من المشاة (الرحالة)، وخيّال، وجندي من السواري.

لقد كانت ملابس الضباط، والجنود من قبل متسعة فضفاضة إلى حد ما، أما فى زمن نابليون فقد ارتدى الجيش الفرنسي ملابس مُحكمة على الجسم تميزت بياقات مرفوعة تحيط بالعنق، واختلف لون السترة عن لون السروال بشكل متوافق جذاب، وارتدى الضباط والجنود قبعات مرتفعة زُينت عادة بطبقة من الحبال المتدلية، أو الريش، أوالفراء.



ضابط من الخيّالة فى جيش نابليون .

جندي من المشاه فى الجيش الفرنسي.



جندي من الفرقة الموسيقية
يحمل مزماراً نحاسياً.



ضابطان من قسم الحرس
الجمهوري بزيهما المميز.



أشكال مختلفة لقبعات الضباط،
والجنود فى الجيش الفرنسي.



جندي من فرقة الطبول.



أشكال الرُتب العسكرية



أربع لوحات فنية تصور الجنود أثناء إعداد، ونقل المأكولات والشراب فى المعسكرات الحربية.

جندي من فرقة المشاه حاملاً العلم الفرنسي الجديد بعد الثورة بألوانه الثلاثة.



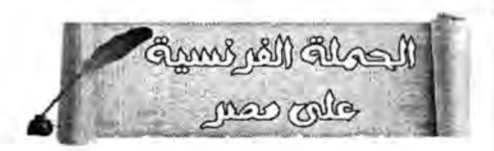
ضابط من سلاح الهندسة وكان هذا الفرع من الفروع العسكرية الهامة فى جيش نابليون، وكان ضباطه يجيدون علم الرياضيات وتخطيط الطرق، ودراسة المساحات، وأعمال الصرف الصحي، والبناء، وغير ذلك من الأمور الهندسية الهامة فى مجال الحروب.



جندي من المشتغلين بأعمال المناجم الذين احتاجتهم الحروب لأغراض مختلفة مثل، حفر الخنادق، ودفن النفايات، وأعمال الصرف الصحي، وغير ذلك، وكانوا يرتدون قبعة مميزة تغطى الرأس، تمتد خلف العنق.



ضابط من المشاة بكامل التجهيزات التى يحملها خلف ظهره من ذخائر، وخرائط، وخلافه بالإضافة إلى بندقية وسيف وخنجر.



• نابليون المنتصر .. والحكومة الضعيفة:



مع تزايد شهرة نابليون كقائد حربي، وتزايد شعبيته داخل فرنسا بعد انتصاراته المتتالية لم يعبأ كثيراً بتعليمات قادته فى باريس حيث بدأ يتصرف كقائد مستقل، وخاصة بعدما ضعفت الحكومة الفرنسية الجديدة وأوشكت على الانهيار، وكان من الممكن لنابليون بعد عودته لباريس منتصراً من إيطاليا أن يزيح تلك الحكومة الضعيفة، ويصير سيد الموقف لكنه كان يخطط لعمل عسكري آخر، وهو القيام بحملة على مصر، ووافقته بالفعل حكومة فرنسا على القيام بتلك الحملة ليس بغرض تحقيق انتصار خارجي لفرنسا فحسب، وإنما لرغبتها كذلك فى إبعاد ذلك القائد العسكري الشجاع الطموح عنها، فيظل أعضاء الحكومة والسلطة بعيداً عن منافسته لهم فى الاستحواذ على السلطة، وحكم البلاد.

• لماذا فكّر نابليون فى الاتجاه إلى مصر؟

إن هناك فى الحقيقة أكثر من سبب وراء هذه الحملة..

• **سبب عسكري:**

بعد توقيع معاهدة "كامبو فورميو" بقى أمام نابليون عدو واحد طالما تربص بفرنسا، وحاول نشر الفتن والاضطرابات على أرضها بعد الثورة وهو إنجلترا. لكن إنجلترا لم تكن أبداً بالعدو السهل، فقد كانت أكبر قوة بحرية حيث امتلكت أسطولاً بحرياً منيعاً سيطر على حركة الملاحة بالبحر المتوسط، وعلى الممر التجاري إلى آسيا.. التى كانت تمثل للتجار من دول أوربا أهمية كبيرة حيث كانوا يجلبون من بلادهم، وبخاصة من الصين والهند البضائع المختلفة المميزة التى لاقت رواجاً فى أوربا كالتوابل المختلفة، والحرير، والبضائع النادرة النفيسة التى تميزت بها دول آسيا. لقد وجد نابليون أن مهاجمة الجزر البريطانية من خلال بحر المانش أمراً مستعصياً، وخاصة أن القوات البحرية الفرنسية كانت ضعيفة ينقصها كثير من التجهيزات التى تحتاج وقتاً طويلاً.. وذلك على الرغم من امتلاك نابليون لأكبر قوة عسكرية على الأرض. فأدرك نابليون أن تسيير حملة على مصر سوف يضطرها لإعادة توزيع قواتها البحرية بحيث تتحرك تجاه البحر المتوسط بينما تعود قواته إلى بحر المانش، وتنقض على الشواطئ الإنجليزية، كما وجد نابليون أن غزو مصر بالتحديد والتى تميزت بموقع استراتيجي بارز سوف يمكّن فرنسا من منافسة القوات الإنجليزية فى السيطرة على الملاحة فى البحر المتوسط، والحد من نفوذها على المجرى الملاحي إلى آسيا.

• الولع الفرنسي بالشرق ومصر:

لكن فى الحقيقة أن ذلك السبب الحربي العسكري لم يكن هو السبب الوحيد حيث إن نابليون منذ حداثة سنه كان شغوفاً بالكشف عن أسرار عالم الشرق، وخاصة أرض مصر مهد الحضارة العريقة، لذلك فإن الحملة التى قادها نابليون ضمت عدداً من العلماء والفنانين، والباحثين كالأثريين، والكيميائيين، والمهندسين، والرياضيين بغرض دراسة واستكشاف مصر أرض الفراعنة ذات الحضارة العريقة، ودراسة فنون وعادات، وديانات أهل الشرق. ذلك بالإضافة لوجود مجموعة من أبرز القادة العسكريين مثل: كليبر، وديزيه، ومارمون، وغيرهم.

• حال المصريين:

كانت مصر فى تلك الفترة تابعة للإمبراطورية العثمانية لكنها كانت من الناحية الفعلية تحت حكم المماليك الذين تميزوا بالقسوة، والبطش، وأذاقوا المصريين العذاب، ومُر العيش. ولكن على الرغم من ذلك لم يرحب المصريون بقدوم تلك الحملة الغربية إلى بلادهم، واستمروا فى مقاومتها بشراسة خاصة بعدما ارتكبت العديد من الجرائم فى حقهم، وفى حق ديانتهم الإسلامية، كما سنعرف.

• بداية الحملة:

خرجت الحملة من ميناء "طولون" فى 19 مايو سنة 1798م،

واشتملت على 400 سفينة، وبارجة، وناقلة حربية فى اتجاهها إلى مصر، وكان نابليون يعلم بوجود البحّار الإنجليزي الماهر "نيلسون" الذى لُقب بأمير البحر رابضاً بأسطوله فى البحر المتوسط، ورغم ذلك تجرأ نابليون على مهاجمة مالطا، ولم يجد صعوبة فى ذلك لأن البارجة التى تصدت له هناك كانت تحمل مجموعة من الجبناء الذين فروا هاربين، واتجه الأسطول إلى سواحل الإسكندرية ليصلها فى أول يوم من شهر يوليو، وقد خدمت الأحوال نابليون فى رحلته كما حالفه الحظ، فبعدما علم نيلسون بقدوم الحملة بادر على استعجال فى الاتجاه إلى الإسكندرية فى انتظارها فلم يجدها، فترك الإسكندرية بحثاً عنها .. فقد غير نابليون الماكر اتجاه الحملة حيث اتجه بها إلى جزيرة كريت ليتفادى لقاء نيلسون فى البحر، ولولا ذلك التأخير فى وصول نابليون إلى الإسكندرية، ولولا تلك العجلة من جانب نيلسون لتلاقى الطرفان فى موقعة بحرية عظيمة كانت ستسفر بلا شك عن هزيمة الفرنسيين هزيمة نكراء.

• وصول الحملة إلى مصر.. نابليون فى الإسكندرية:

وصلت الحملة إلى الإسكندرية، وكانت وقتئذ بمثابة قرية كبيرة تضم عدة آلاف من السكان، وغير محصنة تحصيناً جيداً، وتقدم نابليون أسطوله على متن سفينته التى حملت اسم

"الشروق". وكان قدوم الحملة غير مبرر لأهل الإسكندرية، فتساءل البعض: لماذا يجيء الفرنسيون إلى هنا؟!

ليس لديهم ما يفعلونه؟. لقد كان نابليون يعرف جيداً مدى تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية، وبتعاليم دينهم الحنيف، وقد وضع هذه النقطة فى الحسبان عند قدومه إلى مصر، وحاول استغلالها لإرضاء المصريين، وتذكر فى قرارة نفسه كيف استطاع الإسكندر الأكبر من قبله نيل رضاء المصريين القدماء؟ بزيارته لمعبد آمون، وإظهار احترامه لعقيدة المصريين القدماء.

• خطاب نابليون إلى أهل الإسكندرية :

لذلك عندما وصل إلى الإسكندرية أعلن فى خطاب ألقاه نيته الخالصة فى احترام عقيدة المسلمين، وأنه جاء إلى البلاد رغبةً منه فى تخليص أهلها من ظلم المماليك حاملاً إلى البلاد مبادئ الحرية، والعدالة التى أرستها الثورة الفرنسية، وهذا جزء من الخطاب الخادع الذى سار نابليون فى الحقيقة على غير مضمونه:

" بسم الله الرحمن الرحيم لاإله إلا الله لا ولد له، ولا شريك له فى ملكه، من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية، والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرتيه يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان

مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد يتعاملون بالذل، والاحتقار فى حق الملّة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيـذاء والتعدي..هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من بلاد الأباظة[1] والجراكسة (أى القوقاز، وجورجيا) يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون، قد قيل لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح لا تصدقوه، وقولوا للمفترين إننى ما قَدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه، والقرآن العظيم..قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى (مدينة روما)، وضربوا فيها كرسي البابا الذى كان دائمًا يحض النصارى على محاربة الإسلام".

• تأثير الخطاب:

لكن ذلك الخطاب فى الحقيقة لم يقنع المصريين كثيرًا بتلك الأغراض السامية التى جاء نابليون إلى مصر على أساسها. وقد وصف "الجبرتي" ذلك الخطاب بأنه خطاب ركيك ضعيف اللغة يحمل شيئًا من التناقض،

(1) الأباظة: المقصود به إقليم إبخاريا المطل على البحر الأسود والذي استعاد استقلاله وانفصل عن (جورجيا) ومعظم سكانه من المسلمين (الناشر).

واستمر نابليون فى بداية قدومه إلى مصر على نفس هذا النحو المسترضي للمصريين، والمبجل لعقيدتهم.. فقد كان يجلس فى الجامع الأزهر وسط العلماء يستمع لخطبهم الدينية، وتفسيرهم لكتاب الله عز وجل، مظهرًا إجلاله لرسالة النبي العظيم محمد ﷺ.

• حركة المقاومة الشعبية بقيادة السيد/ محمد كُريم:

لقد بدأت المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين منذ بداية قدومهم تحت قيادة السيد/محمدكُريم الذى كان حاكمًا للإسكندرية، فقام الأهالى بتحصين أسوار المدينة، وتزويد القلاع بالأسلحة والذخائر، ووضع المدافع فى مواجهة السفن الفرنسية، لكن كل تلك الطرق الدفاعية كانت غير فعالة أمام التسليح القوي للحملة الفرنسية. ولم تهدأ المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين خاصة بعدما بدأت تتكشف نواياهم الحقيقية الاستعمارية، وقاموا بإثارة الفتن، وتحريض الأقليات المسيحية، واليهودية ضد المسلمين، وفرضوا سيطرتهم على المدينة، كما فرضوا ضرائب باهظة على السكان لتدعيم حملتهم، وأصبح "كليبر" قائدًا عامًا للمدينة.ولم تهدأ عمليات المقاومة والمناوشات من جانب السكندريين، واتهم السيد/ محمد كُريم بضلوعه فى تلك العمليات المضادة للفرنسيين، ونُقل من المدينة إلى رشيد، ثم إلى القاهرة حيث أُعدم هناك.

• موقعة أبي قير البحرية :



شكل يوضح اتجاه أسطول نيلسون تجاه السفن الفرنسية بالقرب من جزيرة أبى قير والفتك بها..ويوضح الشكل أسماء السفن، والقطع البحرية، والتى بلغ عددها 32 .

استمر نيلسون فى البحث عن نابليون وسفنه حتى استطاع العثور عليها راسية بالقرب من منطقة أبى قير، وهناك جرت مجزرة دامية وهزيمة نكراء للفرنسيين فى أول أيام شهر أغسطس من سنة 1798م حيث استطاع تدمير أغلب سفن نابليون، وتسبب ذلك من ناحية أخرى فى إتلاف، وضياع الكثير من الأجهزة العلمية من مجاهر وأدوات معملية، ومراجع علمية كانت قد جاءت بها الحملة، وخسر نابليون فى تلك المعركة نحو1700بحار بالإضافة لعدد مماثل تقريبًا من المصابين، ولم يتبق له سوى عدد محدود من السفن والقطع الحربية، فأدرك نابليون أن

استمرار حملته صار أمرًا عسيرًا، وأن عليه بذل المزيد من الجهد وخوض تجارب لم تكن متوقعة، وإلا سوف يضطر للعودة إلى بلاده خاسرًا، وهو ما لم يكن يرضاه أبدًا.



لوحة فنية تصور مشهدًا من موقعة أبي قير الشرسة بين الفرنسيين والإنجليز.

• استمرار المقاومة ضد الحملة في دمنهور، وشبراخيت:

اتخذت حملة نابليون طريقها إلى القاهرة.. وعلى الطريق دخلت مدينة دمنهور ولاقت هناك مقاومة شديدة من أهلها، وقام البدو بإخفاء آبار المياه لحرمان الجنود من الماء وتعطيشهم، كما قام الحاكم المملوكي "مراد بك" بحشد الفلاحين، وفرسان المماليك لمقاومة الغزاة، ونجحت حركة المقاومة في تدمير سفينتين فرنسيتين في النيل بالقرب من شبرا خيت، وتمكن الفرنسيون بصعوبة من الإفلات من مقاومة الأهالي، واستمروا في طريقهم نحو القاهرة.

• موقعة الأهرامات:

وصلت أنباء إلى القاهرة عن تقدم الحملة الفرنسية نحو تلك المدينة العريقة، فاستعد أهلها لمواجهتها .أما المماليك فكان حرصهم متركزًا على إخفاء نفائسهم، وثرواتهم حتى لا تقع فى أيدى الفرنسيين.لقد كان الفرنسيون يعرفون جيدًا مدى شراسة المماليك فى المعارك الذين اشتهروا فيها بمهارتهم فى استخدام السيوف حتى قيل إن ضربة واحدة بسيف مملوكي تقسم جسم العدو إلى نصفين، ولكن فى الحقيقة أنهم افتقدوا للتنظيم الكافي والأسلحة الحديثة على عكس الفرنسيين، فكانت ضرباتهم طائشة غير مؤثرة إلى حد كبير. وفى صيف 1798م التقى جيش المماليك، وعدد كبير من الأهالي مع الجيش الفرنسي فى مواجهة ساخنة بين الطرفين بالقرب من منطقة الأهرامات، فى تلك المعركة التى اكتسبت اسم "موقعة الأهرامات" كانت خسائر المماليك فيها فادحة، وقُتل عدد كبير من فرسانهم فلم يستطيعوا الصمود أمام الجيش الفرنسي المنظم والمزود بأحدث الأسلحة والذخائر.





لوحة فنية تصور مشهدًا من المعركة الحامية التى دارت بين المماليك، والقوات الفرنسية عند منطقة الأهرامات.

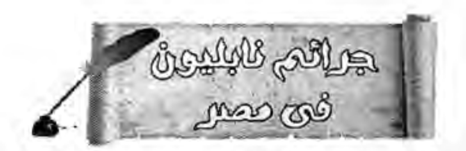
• أين ذهب أنف أبي الهول؟

لقد اشتهرت تلك الموقعة بأنها كانت السبب فى الإطاحة بأنف أبي الهول، وربما كان ذلك لإصابته بقذيفة فرنسية طائشة، ولكن فى الحقيقة أن بعض المؤرخين لا يوافقون ذلك الرأى حيث يعتقدون أن تلك المعركة دارت فى منطقة إمبابة بالقاهرة التى تقع على مسافة بعيدة إلى حد ما من منطقة الأهرامات، لذا فإنهم يعتقدون أن هناك أسبابًا أخرى وراء فقد أنف أبي الهول، وأبرزها تعرضه للتآكل بفعل عوامل البيئة.. ومن المعتقد كذلك إصابته بقذيفة عثمانية فى فترة سابقة.



لوحة فنية تصور ثلاثة جنود فرنسيين يتأملون تمثال أبي الهول بإعجاب..
الذى فقد أنفه لسبب غير معروف بشكل مؤكد.





- **المخادع الكبير:**



عندما وصل نابليون إلى القاهرة حاول كسب أهلها من خلال إظهار احترامه وتقديره للديانة الإسلامية حيث كان يجالس العلماء فى الأزهر الشريف، ويهتم بمشاركتهم فى الاحتفالات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بتعيين أميرللحج، ولكن فى الحقيقة أن خداع المصريين النبهاء ليس أمرًا سهلاً ، فكانوا يدركون فى داخلهم ما وراء تلك الحملة من نوايا سيئة، وميول استعمارية لبلادهم، وقد تأكد ذلك الاعتقاد على مدار الأشهر التالية التى شهدت انتهاكًا صارخًا لكرامة المصريين وأمنهم، وحريتهم بل وامتد الأمر إلى ماهو أسوأ من ذلك حيث أساءت الحملة إساءة بالغة إلى الأزهر الشريف، والديانة الإسلامية.فعلى الجانب المعيشي، اضطر نابليون إلى فرض ضرائب باهظة على المصريين لأجل تدعيم حملته، وابتزت قواته أموالهم، وقام جنوده بهدم كثير من المساكن والمساجد، والأبواب الضخمة بالشوارع بدعوى تحصين المدينة، وعلى جانب آخر عمل نابليون على فرض

الطابع الفرنسي على الأهالي حيث فرض على العلماء ارتداء وشاح على الكتف يحمل ألوان العلم الفرنسي الثلاثة، كما فرض على الأهالي تعليق شارة تحمل الألوان الفرنسية وهو ما لاقى رفضًا، واستنكارًا شديدًا من المصريين.

- **ثورة القاهرة الأولى:**

تزايد السخط تدريجيًا على الحملة، وانتشرت المقاومة الشعبية ضدهم حتى اندلعت ثورة القاهرة الأولى فى أكتوبر سنة 1798م، وبتحفيز من القسطنطينية حيث انتشرت الدعوة فى كل مكان لمقاومة الغزاة، وأصبحت مآذن المساجد منابر لتحفيز المصريين على المقاومة، وازداد عدد المتطوعين يومًا بعد يوم، واتخذوا من الأزهر الشريف مركزًا لهم، وبلغ عدد الثوار الذين احتشدوا به وحَوْله نحو خمسة عشر ألف مواطن، وأقام الثوار المتاريس بالشوارع وحملوا البنادق، وراحوا يهاجمون أحياء الفرنسيين ومواقع الجنود فى أحياء القلعة، والأزبكية والمقطم، وتم مواجهة تلك الثورة بكل عنف وقسوة من جانب الفرنسيين حيث أمر الجنرال "ديبوى" الذى كان مسئولاً عن أمن القاهرة بقتل الثوار، وكان جنوده يأتون برهائن أبرياء ويقتلونهم أمام أعين الناس لإرهابهم، وإجبارهم على الخضوع، والأدهى من ذلك أنهم شرعوا فى قتل المصريين أثناء صلاة الجمعة.

• تدنيس الأزهر الشريف:



مشهد يصور جرائم نابليون ضد البدو. والمماليك
الذين حاولوا جاهدين التصدى لجيوشه.

كان نابليون حينئذ خارج القاهرة، ولما وصلته أخبار الثورة عاد على الفور وأمر بنصب المدافع بالقلعة والمقطم، وراح جنوده يقذفون القنابل على الأزهر والحى المحيط به الذى كان ممتلئًا بالثوار، أما أبشع ما ارتكبه الفرنسيون فكان دخول الأزهر الشريف بخيولهم وتدنيسه. لقد دخل جنود نابليون ساحة الأزهر الشريف وربطوا خيولهم بعمود القبلة المقدسة، وقاموا بأعمال تخريب لمحتوياته وقاعاته فمزقوا الكتب الدينية وألقوا بنسخ القرآن الشريف على الأرض، وراحوا يدوسونها بأقدامهم القذرة، ولطخوا المكان ببصقهم وبولهم، وبرازهم، ويقول الجبرتي عن ذلك الحدث: "إنه تم تدنيس الجامع الشهير بأسوأ طريقة ممكنة من جانب الجنود الفرنسيين الغاضبين بسبب وفاة عدة عشرات من مواطنيهم، ومن بينهم الجنرال "ديبوى" قائد جيش العاصمة"، وقد بلغ عدد ضحايا تلك الحوادث نحو

أربعة آلاف قتيل من المصريين، ويعلّق نابليون مفتخرًا بتصديه العنيف لتلك الثورة بقوله: "كنا نقطع رءوس حوالى ثلاثين شخصًا فى كل ليلة".

• اتفاقية العريش:

أمام ذلك الوضع المأساوى كان لابد من اللجوء للتفاوض، وتحكيم العقل، فدارت مفاوضات بين أعضاء الديوان المصري ونابليون لوقف إطلاق النار تجنبًا لإراقة المزيد من دماء المصريين الأبرياء، وعلى جانب آخر اتفق السلطان العثماني مع الإنجليز على عقد اتفاقية لإخراج الفرنسيين من البلاد، وهى اتفاقية العريش، وفى تلك الفترة كان نابليون قد ترك كليبر خليفة له فى مصر بعدما اتخذ طريقه إلى الشام.. حيث أراد الاستيلاء على عكا، وإقامة قواعد عسكرية هناك يغزو من خلالها الشرق وبلاد الهند، لكنه لم يتمكن من فتح عكا، وكان كليبر خليفة نابليون فى مصر متشائمًا من مصير الحملة، وأراد الرجوع إلى فرنسا، مما جعله يوافق على تلك الاتفاقية، ولكن الإنجليز عادوا مرة أخرى، ورفضوا بعض بنود الاتفاقية.

• ثورة القاهرة الثانية:

تجددت الاشتباكات مرة أخرى بين الفرنسيين، ورجال المقاومة من جهة، والمماليك والعثمانيين من جهة أخرى، ودارت معركة ساخنة بين كليبر والأتراك العثمانيين فى منطقة عين شمس، وأوقع كليبر بهم هزيمة كبيرة فى تلك

الموقعة التى حملت اسم "موقعة عين شمس"، ولم تهدأ الأمور حيث انضم عدد كبير من الأهالي إلى فريق من المماليك والعثمانيين الذين تسللوا إلى القاهرة، وأعلنوا عن ثورة ثانية ضد الفرنسيين انطلقت من حى بولاق حيث هاجم الثوار مواقع الفرنسيين، وحاول كليبر تهدئة الأوضاع بالتفريق بين العناصر الثلاثة، وهم الأتراك والمماليك، والشعب..ونجح فى التفاوض مع الأتراك والمماليك، وحثهما على الانسحاب من الثورة فى القاهرة، وما إن حدث ذلك حتى قامت القوات الفرنسية بقيادة كليبربمطاردة الأهالي فى كل شارع وحارة وأشعلوا النيران فى البيوت ودكوا الأحياء بالمدافع، ودمروا حى بولاق[1] بالكامل، وبذلك باءت الثورة بالفشل مرة أخرى.

- **مقتل كليبر:**

فى يوم 14يوليو استطاع شاب سوري مسلم، وهو سليمان الحلبي التسلل خلسة إلى مقر إقامة كليبر فى القاهرة، وطعنه طعنة قاتلة فى حديقة منزله كرد فعل تجاه أفعاله القذرة ضد المصريين، وقد قبض على سليمان الحلبي وتم تسليمه للجهات المختصة، واعترف فى التحقيقات بارتكابه للجريمة، وبأنه أخبر عددًا من شيوخ الأزهر بعزمه على القيام بقتل كليبر، وتم تسليم سليمان الحلبي إلى رجل يدعى "بارتيليمى" وهو يوناني الأصل انضم إلى الجيش الفرنسي، وكان عنيفًا قاسيًا خصصه

(1) بولاق:هو اسم فرنسي أطلقه الفرنسيون على هذا الحى، ومعناه، البحيرة الجميلة BeauLac

الفرنسيون للقيام بتنفيذ الأعمال القذرة والتعذيب، وكانت عقوبة تلك الجريمة قطع رءوس ثلاثة من شيوخ الأزهر، وتعذيب سليمان الحلبي حتى الموت..وهى عقوبة كانت شائعة فى ذلك الوقت تتمثل فى الإعدام بالتعذيب..وجرت على النحو التالى:

تم قطع اليد اليمنى لسليمان الحلبي، ثم قتله بتعليقه على خازوق لتأكله الطيور الجارحة، ومن المؤسف أن أفراد البعثة العلمية التى جاء بها نابليون أخذوا جثة سليمان الحلبي لأغراض التشريح..وأخذوا جمجمته إلى فرنسا لتُدرَّس للطلاب فى محاضرات التشريح حتى استقر بها الأمر فى متحف الإنسان.

• استمرار المقاومة الشعبية، وجلاء الفرنسيين:

ولكن المقاومة الشعبية لم تهدأ..حيث انتهز الثوار فرصة سفر نابليون إلى الشام، وانخفاض عدد جنوده بمصر لمواصلة كفاحهم ضد الغزاة، فتجددت الاشتباكات مرة أخرى فى القاهرة، والوجه البحرى، وانتشرت بأغلب مدن الصعيد وحتى أسوان، وعلى جانب آخر امتنع الأهالي عن تموين الجنود الفرنسيين بالغذاء والمؤن، وأمام ذلك التكاتف الشعبي، والمقاومة الباسلة اضطرت الحملة للرحيل عن مصر، وقد باءت بالفشل فى تحقيق أغراضها الحربية الاستعمارية.

• الجوانب الإيجابية للحملة الفرنسية:

• اكتشاف حجر رشيد:

رغم المساوئ الكثيرة للحملة الفرنسية على مصر إلا أنها حققت بعض الجوانب الإيجابية التى كان من أبرزها اكتشاف حجر رشيد، وفك طلاسم اللغة الهيروغليفية التى ظلت لغة مبهمة غير مفهومة لفترة طويلة من الزمن، ففى يوم 19 يوليو سنة 1799م اكتشف ضابط فرنسي وهو "فرانسوا- اكزافييه بوشار" حجرًا غريب الشكل ضمن أنقاض حصن بالقرب من مدينة رشيد، وكان يحمل نقوشًا لثلاث لغات مختلفة وهى: اليونانية، والديموطية، والهيروغليفية. استشعر الضابط أهمية ذلك الحجر، واستطاع العالم الفرنسي "جان فرنسوا شامبليون" من خلال المقارنة بين حروف اللغات الثلاث التى كتبت على الحجر التوصل لفك رموز اللغة الهيروغليفية.

• كتاب وصف مصر:

أنشأ الفرنسيون فى عام 1798م معهد مصر..وهو معهد علمي على غرار معهد فرنسا فى تلك الفترة، واشتمل على عدة تخصصات علمية وهى: الرياضيات، والفيزياء، والاقتصادالسياسي، والآداب، والفنون، وقد أقيم المعهد فى قصرين من قصور المماليك حيث كان بمثابة مركز متقدم للبحث العلمي، وقام العلماء الفرنسيون الذين التحقوا بهذا المعهد تحت رعاية كليبر بدراسة علمية واسعة لخصائص البيئة المصرية. فقاموا بدراسة المعادن وتصنيفها، ودراسة الحشرات وتصنيفها، ودراسة نباتات البلاد، والتنقيب

بالبحيرات، ووضع خرائط للمدن، وقياس الهرم الأكبر، وجمعوا كل تلك المعلومات والدراسات فى كتاب واحد وهو كتاب "وصف مصر".



لقد عكف أعضاء البعثة العلمية التى صاحبت حملة نابليون على دراسة الآثار والبيئة المصرية بشكل متأنٍ.. وكان ذلك يمثل بداية لظهور علم المصريات (Egyptology) الذى انتشر فى العالم الأوربي.

• نابليون يشيد بعظمة مصر:

إنه على الرغم من عودة حملة نابليون خاسرة إلى فرنسا إلا أن نابليون زاد تألقه واكتسب شهرة واسعة ونجاحًا شعبيًا بعد غزوه لمصر ذات التاريخ الحضاري الحافل الذى طالما أدهش أهل الغرب، وخاصة الفرنسيين حيث تمكن من وصوله للأهرامات، وأبي الهول، تلك الآثار التى طالما شدت اهتمام الفرنسيين، وبعد وصوله إلى الشام وتجواله بشوارع مدينة القدس العظيمة فى فلسطين، وعندما سأله قادته: "كيف بدا لك أبو الهول؟". قال نابليون: "إنه مثال للعظمة، والشموخ، والحضارة المصرية العريقة".

نابليون يصبح إمبراطورًا على عرش فرنسا



• الرجل المنشود المنقذ للفرنسيين:

عاد نابليون إلى فرنسا بعد حملته على مصر، واستقبله الشعب استقبال الأبطال فهو القائد القوي الذى فتح إيطاليا، ونظم شئون مصر، وعمل على خدمة مصالح فرنسا الخارجية فى الوقت الذى تصارع فيه أعضاء الحكومة صراعًا أنانيًا للاستحواز على السلطة، بينما لم يغامر ذلك البطل بالدخول فى تلك الصراعات. لقد وجد فيه أغلب الفرنسيين البطل المنقذ الجدير بتخليصهم من متاعب العيش وتدهور الاقتصاد، وبإخماد الفتن التى أثارها أنصار الحكم الملكي السابق، والداعون إلى الفوضى والفساد، وقطاع الطرق الذين زادوا وانتشروا، كما أنه القائد القوي القادر على تأمين حدودهم والتصدي لأعداء البلاد من النمساويين والإنجليز، والروسنكان ذلك هو حال الرأى العام الفرنسي تجاه نابليون عندما عاد نابليون كانت الحكومة الفرنسية على وشك الانهيار، وشرع "سييز" رئيس الحكومة الإدارية فى وضع دستور جديد عُرف باسم "دستورسييز"، ولكن وجود الدستور لم يكن كافيًا لإصلاح حال البلاد حيث أصبح هناك حاجة

ماسة لشخص قوي ليضع ذلك الدستور محل التنفيذ، ويعيد الاستقرار للوضع السياسي، والوضع الاقتصادي، ويضرب بيد من حديد على المخربين، ودعاة الفتن، وكان نابليون هو ذلك الشخص المنشود الذى كسب الرأى العام الفرنسي لصالحه.

• قنصل فرنسا الأول:

• انقلاب بريمير:

لقد استطاع نابليون كسب الرأى الفرنسي، وبقى أن يجعل ذلك محل تنفيذ بالوصول إلى مقعد السلطة فى فرنسا، فراح يخوض مجال السياسة بالعنف تارة وبالحيلة تارة أخرى، وأعلن نابليون نفسه أنه وليد الثورة، واستطاع بمساعدة رجل من حكومة الإدارة يؤيده ويدين بمبادئه، وهو الأب "سييس" وأيضًا بمساعدة أخيه "لوسيان" أن يُحدث انقلابًا عُرف باسم "انقلاب بريمير"، ولكن ذلك الانقلاب سرعان ما اتخذ شكلاً قانونيًا من خلال الاستفتاء العام. وفى يوم 9 نوفمبر سنة 1799م أعلن نابليون نفسه كقنصل فرنسا الأول، وأقسم أن يقيم الجمهورية على مبادئ الحرية والمساواة، وكان يعتبر بذلك المنصب أكبر رأس فى الجهاز الحكومي، وصار منذ ذلك الوقت يعرف باسمه الشائع " نابليون".

جاء هذا الاسم نسبة إلى ثاني شهور السنة فى تقويم الحرية الفرنسية.

• كلمات تاريخية:

فى حديث عتاب للحكومة السابقة، قال نابليون لأحد رجال

الإدارة الذى جاء لمقابلته فى حديقة القصر كلمات رددت صداها أنحاء فرنسا حيث قال: "ماذا فعلتم بفرنسا التى تركتها مزدهرة؟ تركتها والسلام يخيم على ربوعها، وعدت إليها فإذا الحرب بها! خلَّفت لكم النصر، فعدت لأرى الهزيمة، حملت إليكم ثروة إيطاليا، وهأنذا أجد النهب والبؤس".



نابليون.. قنصل فرنسا الأول.

• نابليون يستعيد مجد روما القديم:

لقد أصبح نابليون بذلك المنصب أشبه بيوليوس قيصر قنصل الرومان الذى سبقه بنحو ثمانية عشر قرنًا من الزمان، وقد وضع بالفعل نابليون صورة قيصر، وأمجاد الإمبراطورية الرومانية أمام عينيه، وحَلُم بتكوين إمبراطورية فرنسية عظمى على غرار إمبراطورية الرومان، ولربما تساءل فى

نفسه: إذا كانت روما صاحبة تلك العظمة فى الماضي، فلم لا تصبح باريس كذلك فى الحاضر؟!، وقد امتلك نابليون بالفعل الخصائص التى تؤهله لذلك فقد كان قوي الشخصية طموحًا، شديد الثقة بنفسه فضلاً عن مهارته الحربية العالية.

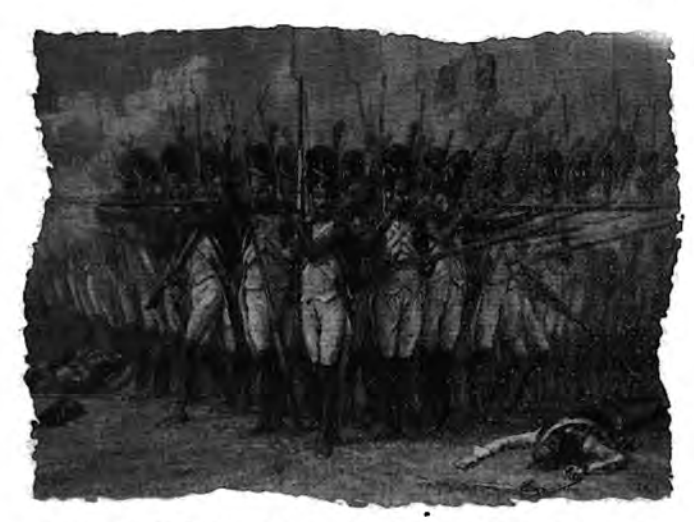
- **محاولة اغتيال نابليون:**

إن قنصل فرنسا الأول لم يسلم من تربص أنصار الملكية السالفة به، وتآمرهم عليه ومحاولة الخلاص منه.. فى إحدى تلك المحاولات، تزعم "الكونت دارتوا"، وهو ثاني إخوة لويس السادس عشر مؤامرة لقتل نابليون شارك فيها "جورج كادودال" أحد أبرز الملكيين المتمردين فى لافنديه، و"يشجرو"فاتح هولندا فى فترة الثورة، لكن شرطة نابليون كشفت تلك المؤامرة، وألقت القبض على المتآمرين، ومنهم من أُعدم، ومنهم من مات فى السجن، وظهر من خلال التحقيق معهم مشاركة متآمر آخر كان ينتمي للعائلة الملكية وهو الأمير "دانجيان"، فقبض عليه وخضع للمحاكمة، ولكن قبل الانتهاء من محاكمته أُلقى به فى خندق، وأُعدم رميًا بالرصاص بأوامر من نابليون، وقد برر نابليون ذلك السلوك القاسي العنيف بجعله عبرة لمن يحاول من جديد إشعال نار الفتن، وتدبير المؤامرات من جانب الملكيين وقال نابليون: "لقد أرادوا القضاء على الثورة الفرنسية متمثلة فى شخصي، وكان لابد من الدفاع عنها بكل قوة وشراسة".

• موقعة مارينجو:

لقد جاء أول اختبار حربي لنابليون قنصل فرنسا الأول بعد عدة شهور منذ توليه ذلك المنصب.. وذلك من خلال "موقعة مارينجو" الحربية التى وقعت فى 14 يونيه سنة 1800م. لقد استهان نابليون بتأمين استحوازه على شمال إيطاليا فلم تتوافر السيطرة العسكرية الكافية هناك، وذلك فى الوقت الذى كانت لاتزال فيه النمسا بزعامة الإمبراطور "فرنسيس" تفكر فى استعادة سيطرتها هناك بمساعدة حليفتها روسيا، وقد حدث ذلك بالفعل.. فأعدت حكومة النمسا جيشًا قويًا ترأسه الجنرال "ميلاس"، وانقض على مواقع الفرنسين فى هجوم شرس مفاجئ، وراح النمساويون يطاردون الفرنسيين بكل قوة حتى كاد الفرنسيون يفرون من ساحة المعركة، وكاد النصر يتحقق للنمساويين، واستيقظ القائد العسكري الفرنسي "ديزيه" من نومه على صوت طلقات المدافع، وهو القائد القريب من نابليون، والذى حقق انتصارات كبيرة برفقته خلال حملته على مصر، واستطاع "ديزيه" أن يلم شمل جيشه المتفرق مرة أخرى، وأن يحول الهزيمة إلى انتصار عند قرية "مارينجو" التى وصل إليها نابليون، وكان ممتلئًا بالنشاط والحماس، والروح القتالية، وتبعًا لذلك الانتصار العظيم اضطر "ميلاس" لعقد اتفاقية سلام ذليلة مع فرنسا تنازلت فيها النمسا عن المناطق الشمالية بإيطاليا لتعود إلى السيادة الفرنسية مرة أخرى، وبذلك انتهى الصراع الذى استمر طويلاً بين الطرفين، وكان من الواضح أن

نابليون مدين بذلك الانتصار بدرجة كبيرة إلى صديقه الوفي "ديزيه".



الحرس الخاص بالقنصل نابليون يدخل إلى ساحة القتال فى "موقعة مارينجو".



عقد اتفاقية السلام بين فرنسا والنمسا فى اليوم التالي لموقعة مارينجو.. فى 15 يونية سنة 1800م.

- **نيلسون يجدد انتصاراته:**

على جانب آخر، وفى السنة التالية لموقعة مارينجو.. سنة1801م استطاع القائد الحربي الإنجليزي نيلسون أن يشد انتباه الفرنسيين، والعالم إلى قوة إنجلترا المتزايدة، واتساع نفوذها الخارجي بتوجيه ضربة قوية للدنمارك بتدمير أسطولها فى ميناء كوبنهاجن.. وكأنه يقول: "نحن هنا أسياد البحار"، ولكن فى نفس الوقت تزايدت قوة فرنسا ونفوذها الخارجي بشكل مضطرد على يد قنصل فرنسا الأول نابليون، وأصبحت كل من إيطاليا، وسويسرا تحت سيادته، وهو ما زاد من الصراع بين الطرفين الذى تفوقت فيه فرنسا على الأرض، وتفوقت فيه إنجلترا فى البحر.

- **نابليون يعيد تنظيم فرنسا، ويدفعها للنهوض:**

ولكن..كيف أدار قنصل فرنسا الأول البلاد؟..وما الذى حققه لها من إنجازات على المستوى الداخلي؟

- **قانون نابليون:**

لقد أصبح نابليون على رأس نظام الحكم، واتخذ أخوه "لوسيان" مقعدًا مجاورًا له فى السلطة حيث تولى منصب وزير داخليته فى فترة ما، وترأس نابليون السلطة التشريعية حيث كان يعمل تحت رئاسته مجموعة من المشرعين بمجلس الدولة لوضع وصياغة القوانين، .ثم عرضها عليه لكنه فى الحقيقة لم يجنح للاستبداد، وإنما عمل على مراجعة كل

القوانين الفرنسية، وإعادة صياغتها وتعديلها بما يوفر الحرية والعدالة للشعب..تلك القوانين التى لازالت تشكل الأساس للقانون المدني الفرنسي..والتى عُرفت باسم "قانون، أوشريعة نابليون Code Napoléon" التى يعتبرها المؤرخون أعظم إنجاز داخلي لنابليون.لقد نجح نابليون فى إدارة البلاد بحزم ونظام، وبثقة كبيرة فى المستقبل، وكان يقضي وقتًا طويلاً مع مجلس الدولة فى مناقشة السياسات، والمشاريع، والميزانيات، وأضفت شخصيته القوية، وثقته الشديدة بنفسه جدية على نظام العمل والإدارة، فشعر كل إداري وموظف بالحكومة بأن زمن التهاون والخروج عن القانون قد ولّى دون رجعة.

• نابليون يلم شمل فرنسا:

•السياسة المركزية الجديدة فى الحكم:

لقد كانت فرنسا قبل مجيء نابليون للسلطة فى حالة تشتت سياسي.. حيث كانت مقسمة إلى مقاطعات، أو ولايات يترأس كل منها والٍ يختص بوضع السياسات التى تنتهجها ولايته دون الرجوع للسلطة العليا فى باريس، وهو ما أدى إلى حالة من الفوضى فى القوانين، والتضارب الواضح فى السياسات العامة للبلاد، وقد اتبع نابليون سياسة مركزية فى الحكم لكنها كانت خاضعة لقوانين موحدة للدولة فجعل كل والٍ مسئول عن ولايته، وأطلق عليه تسمية "قنصل الولاية" لكنه يأخذ فى النهاية شريعته، وقوانينه فى الحكم من خلال "قانون نابليون" الذى صار قانونًا موحدًا للبلاد.

- **إزالة الفوارق الطبقية:**

- **نظام الترقي الجديد:**

إنه على الرغم من امتلاك نابليون لزمام السلطة دون منافسة، أو معارضة حقيقية من الأطراف الأخرى فى الحكم إلا أنه لم تكن هناك رجعة للنظم الملكية السابقة المستبدة الفاسدة التى قامت على أساس الفوارق الطبقية، وخدمة الأثرياء واستغلال الضعفاء والفقراء، بل سلك نابليون مسلكًا يتميز بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وظهر ذلك واضحًا فى مجال الترقي للوظائف ففتح نابليون الباب لكل مجتهد يمتلك كفاءة فى الترقي للوظائف، وبذلك أتاح الفرصة للجميع للحصول على مناصب عليا فى الحكومة على حسب كفاءتهم وبصرف النظر عن مستواهم الاجتماعي، فانهار بذلك النظام القديم الذى كان قائمًا على استئثار الأثرياء والنبلاء بالمناصب الرفيعة فى الدولة.

- **التصالح مع الكنيسة:**

لقد ظلت العلاقة بين السلطة والكنيسة متوترة لفترة طويلة..واتخذ أغلب الجنرالات موقفًا مضادًا لسياسات البابا، وكان نابليون يعلم جيدًا أن الدين يعد قوة كبيرة ومؤثرة بالنسبة لغالبية الشعب الفرنسي لذلك عمل على إرساء التصالح بين السلطة والكنيسة، وهو ما زاد من شعبيته بدرجة كبيرة.لقد مرت الكنيسة بحالات من الانقسام والاضطهاد الشديدة.ففى سنة 1792م نزعت الجمعية الأهلية أملاك الكنيسة، وجمدت أوقافها، وظل رجال الدين لفترة طويلة يقيمون شعائرهم فى

الحقول والغابات، وامتد اضطهاد الكنيسة إلى حد منع الكنائس من دق أجراسها لدعوة الناس للصلاة.. ومنع مرور قسيس فى موكب فى الطرقات العامة، وقد تغيرت تلك الأوضاع تمامًا من خلال سياسات نابليون، وفى سنة 1802م وُقِّعت اتفاقية صلح بين الكنيسة والحكومة الفرنسية أعاد من خلالها نابليون الكنيسة الكاثوليكية، وضمن حق إقامة الشعائر جهرًا، واعترف بأنها تمثل الدين السائد لغالبية الفرنسيين.

- **النهوض بالتعليم:**

اهتمت سياسة نابليون بالنهوض بالتعليم إيمانًا منه بدوره الكبير فى النهوض بفرنسا، ووضع مجموعة من الإجراءات والنظم الجديدة لتطوير مجال التعليم سواء فى المدارس أو الجامعات، وأنشأ مدارس عليا للخريجين للحصول على شهادات علمية بمثابة الماجستير والدكتوراه، ويرجع إليه الفضل فى إنشاء " مدرسة الطبيعةEcole Normale " التى تعد من أشهر مدارس دراسة الطبيعة والأحياء على مستوى العالم، والتى لاتزال تحتفظ بمكانتها الكبيرة فى باريس حتى الآن، كما شجع نابليون حركة البحث العلمي والابتكارات، والاختراعات، وظهر فى زمنه مجموعة من العلماء الفرنسيين النابغين أمثال العالم الفلكي لابلاس "La Place" الذى توصل لاكتشافات فلكية هامة، وقد أدى ذلك الاهتمام بمجال التعليم، والبحث العلمي إلى تمتع فرنسا فى تلك الفترة بأفضل نظام للتعليم فى الغرب.

• إمبراطور فرنسا:



نابليون فى زي الإمبراطور.

لقد حقق نابليون مكاسب كبيرة لفرنسا، فأنقذها من حالة الفوضى، وأسس لها حكومة تتمتع بالثقة والثبات، وخاض إصلاحات كبيرة فى العديد من المجالات، واستطاع بذلك أن يكسب مكانة كبيرة فى القلوب ولذا فإنه عندما عمد إلى تحويل سلطته من قنصل إلى إمبراطور لم يُحدث ذلك فرقًا كبيرًا أو معارضة واضحة من جانب الشعب، وفى يوم 2 ديسمبر سنة 1804م نصب نابليون نفسه إمبراطورًا على عرش فرنسا ووضع نظامًا لتوريث الحكم، فقرر ألا تخرج الإمبراطورية عن دائرة أبناء "ليتيشيا"، وهى أمه حتى إذا لم ينجب الإمبراطور ولدًا وفى حفل تنصيبه حضر البابا "بيوس السابع" وقام بوضع التاج على رأس نابليون معبرًا عن ترحابه باعتلائه عرش الإمبراطور، وردد نابليون أمام الحاضرين القسم بأن يعمل على إرساء مبادئ الحرية والمساواة وحماية الملكية الخاصة وتوسيع نفوذ فرنسا



الخارجي، واحتفالاً بتلك المناسبة أهدى الموسيقار بيتهوفن سيمفونية "إيرويكا" إلى نابليون التى تحكي عن بطل الثورة الفرنسية.



تتويج نابليون على عرش فرنسا فى2 ديسمبر 1804م، أقيم احتفال بمناسبة تتويج نابليون على عرش فرنسا، وحضره البابا، وفى هذه اللوحة الفنية يظهر نابليون حاملاً التاج الذهبي ليتوّج زوجته "جوزفين" بعدما وضع تاجه الذهبي على رأسه.

• نابليون.. وحياة الملوك:

وقد استدعى ذلك المنصب تكوين بلاط ملكي، وإقامة حفلات الاستقبال والاهتمام بالرسميات، ولكن نابليون الكورسيكي ذا الطبع الخشن لم يكن فى الحقيقة متوافقًا مع تلك الأمور فكان لايميل للملاطفة ولا للأحاديث العامة الطويلة ولا يهوى الرقص ولايتمتع بحس موسيقي أو ميول فنية لذلك فإنه كان يتعرض أحيانًا أثناء احتفالاته فى قصر فرساى إلى نظرات ساخرة وأحاديث جانبية تفضح أمره، لقد كان نابليون رجلاً عسكريًا خشنًا لايستهويه سوى طموحاته العسكرية، لذا قيل عنه: "إن نابليون رجل يعتبر المدنية عدوه الشخصي".





• جيوش نابليون تجتاح أوربا:

لم يعمل نابليون فحسب على تقوية فرنسا من الداخل، وإنما سعى كذلك لإقامة إمبراطورية كبرىتزيد من نفوذها الخارجي. وهو ما أثار قلق الدول المحيطة فتحالفت كل من النمسا وروسيا والسويد مع إنجلترا لوقف أطماع نابليون، ولأجل تحقيق ذلك الهدف خاض نابليون سلسلة من الحروب الناجحة على مدار الفترة ما بين1805م1807-م. واستطاع من خلال تلك الحروب فرض سيادته على مناطق شاسعة من أوربا، وبعد ذلك اتجه شرقًا محاولاً توسيع نفوذ إمبراطوريته فى ذلك الاتجاه بغزو روسيا.

• تدعيم الجيش الفرنسي، وإعادة تنظيمه:

لكى يحقق نابليون حلم الإمبراطورية المنشودة كان لابد أن يمتلك جيشًا قويًا مهابًا، وهو ما سعى لتحقيقه بحماس وغلظة.. فقد دعا إلى تعبئة الجيش بنظام التجنيد الإجباري، وكان المجندون يجيئون من مختلف أنحاء فرنسا، وكان أغلبهم من الفلاحين والفقراء الذين لا يفقهون شيئًا عن أمور العسكرية

لكنهم تدربوا جيدًا على فنون القتال من خلال معسكرات التدريب التى تركزت على الشواطئ الفرنسية الواقعة على بحر الشمال، وبحر المانش، واستطاع نابليون بذلك الدعم زيادة قوته العسكرية بشكل كبير حيث وصل عدد المجندين إلى نحو 210 آلاف جندي وضابط، كما عمل نابليون على زيادة الاهتمام بسلاح البحرية ليقوى على منافسة الأسطول الإنجليزي، وأصدر أوامره ببناء عدد كبير من السفن والنقالات، وتوسيع الموانئ البحرية، ولكن رغم ذلك ظل هناك فارق كبير بين الأسطولين، كما أدخل نابليون بعض النظم الحربية الجديدة حيث يعتبر نابليون أول من وضع نظام الكتائب الثابتة، وقام بتعيين عدد 18قائدًا عامًا، أومارشال لقيادة تلك الكتائب المنظمة.

• حُلم غزو الجزر الإنجليزية، وعبور المانش الذى لم يتحقق:



لقد وقف الأسطول الإنجليزي القوي عقبة منيعة ضد غزو نابليون للجزر الإنجليزية.. فقد امتلك أفخر وأقوى السفن فى تلك الفترة كالتى تظهر بالصورة.

قال نابليون الطموح الواثق بنفسه فى حديث له: "ليس المانش إلا حفرة لا يتطلب عبورها كثيرًا من الأقدام"، وادعى أنه قادر على غزو الجزر البريطانية فى أربعة أيام لكن ذلك الحديث المتفائل الذى يقترب من الحلم لم يكن ليتحقق بتلك السهولة.. ومن أهم أسباب ذلك حالة الأسطول الفرنسي المتواضعة بالنسبة للأسطول الإنجليزي القوي بقيادة "نيلسون" الذى كان يجوب البحار الأوربية بثقة وثبات.

• الاستعداد لغزو الجزر الإنجليزية:

كان لابد لقيام نابليون بتلك الخطوة من الاهتمام بثلاثة أمور هى: تكوين جيش قوي، ووضع نظامًا يكفل نقل الجيوش والمؤن، وتجهيز قطع بحرية قوية تحمي عبور هذه الجيوش، وقد سعى بالفعل نابليون إلى الأخذ بهذه الأمور الثلاثة. لكن الأمر الثالث كان أصعب تلك الأمور حيث كان على نابليون أن يستخدم ذكاءه الحربي وخططه الماكرة للإفلات من الأسطول الإنجليزي الحامي لبحر المانش.

• موقعة "ألـم ulm":

فى مارس سنة1805م تحرك الأسطول الفرنسي من ميناء طولون بقيادة "فيلنيف" متجهًا إلى عرض البحار، وكان مخططًا له مهاجمة الجزر الإنجليزية. وتضمنت الخطة القيام بتضليل أسطول نيلسون باجتذابه وراءه فى الاتجاه للهند، ثم

تضليله عن الأسطول الفرنسي الذى يعود مرة أخرى بعد إفساح بحر المانش أمامه ليلتقي هناك بأسطول فرنسي آخر، ونجحت الخطة بالفعل حيث سار نيلسون بأسطوله فى أعقاب الأسطول الفرنسي، وتمكن "فيلنيف" من مراوغته والابتعاد عنه والعودة مرة أخرى فى اتجاه بحر المانش، ولكن الإنجليز كشفوا تلك الحيلة حيث جهزوا عددًا من القطع البحرية الأخرى لحماية السواحل، وسد طريق بحر المانش أمام الأسطول الفرنسي، وأدرك نابليون أن خطته قد انكشفت، فأمر بتسيير أسطوله نحو النمسا لمهاجمتها بدلاً من الدخول فى مجازفة خطرة بعبور بحر المانش، وهناك حاصرت القوات الفرنسية القوات النمساوية المكلفة بحماية الحدود عند مدينة "ألم" بعدما وقعت فى الفخ، واضطرت للاستسلام فى شهر أكتوبر.



كان نجاح الفرنسيين فى محاصرة "ألم" فى20 أكتوبر سنة 1805 م ضربة قوية للجيش النمساوي.



ترى فى هذه الصورة مجموعة من الخيّالة، ومجموعة من المشاة فى الجيش النمساوي بزيهم العسكري المميز.



لوحة فنية بمتحف لندن تصور وصول جيش نابليون إلى "ألم"، ومحاصرتها.

- **معركة أُسترليتز:**

فى شهر نوفمبر واصل نابليون تقدمه نحو العاصمة النمساوية "فيينا" حيث نجح فى فتحها فى يوم13 من نفس الشهر، وعندئذ بدأت القوات الروسية فى الاستعداد للنزول إلى ساحة الحرب، وزحفت تجاه النمسا لمؤازرتها، لكن "نابليون" تصدى لها وشتت شملها ومنعها من عبور نهر الدانوب، وألحق بها هزيمة كبيرة عند قرية "أسترليتز" فى "مورافيا" فى (2-3) ديسمبر من نفس السنة، وفى تلك المعركة الشرسة بلغ عدد القتلى من الجنود النمساويين، والجنود الروس نحو 35ألف جندي من جيش بلغ عدده من الطرفين نحو83ألف جندي، وأمام تلك الهزيمة النكراء شعرت روسيا بالعار، وأرجعت جزءًا من فشلها إلى الجيش النمساوي الضعيف.وفضلت الانسحاب من ميدان الحرب لكنها لم تعقد الصلح بصورة رسمية مع نابليون، وأدى ذلك الانتصار إلى إضعاف التحالف الأوربي المناهض لفرنسا، ولولا تلك الهزيمة لكان من المحتمل أن تدخل بروسيا الحرب، وتنضم إلى الحلفاء الأوربيين، وهو ما كان سيضع نابليون فى موقف حربي سيئ، وقد حاول نابليون تجنب ذلك منذ البداية بأن أغرى الملك "فريدريك ويليام الثالث" ملك بروسيا بإعطائه ولاية هانوفر.



بعد انتصار نابليون فى أسترليتز، جاء جنوده بالأسرى من الحرس الروسي..وفى تلك اللوحة الفنية يظهر نابليون على حصانه أثناء استعراضه للأسرى الروس.



فى هذه اللوحة الفنية يستقبل نابليون الملكة "لويز"زوجة فريدريك ويليام الثالث ملك بروسيا..التى وصفها نابليون بالعدو الجميل.



• معاهدة برسبرج واتحاد الراين:

بعد ذلك الانتصار الكبير صارت النمسا تحت رحمة نابليون لكنه اكتفى من خلال معاهدة "برسبرج" التى وقعها مع النمسا المهزومة الاستيلاء على جميع ممتلكاتها فى إيطاليا، وعلى سواحل بحرالأدرياتيك، كما قام نابليون بالجمع بين إمارات ألمانيا حيث جعل منها اتحاداً فيدراليًا للراين..على أن تكون كل القوات العسكرية لذلك الاتحاد فى خدمة إمبراطورية فرنسا..وبذلك أصبح نابليون فى الواقع إمبراطورًا على ألمانيا كذلك.

• معركة الطرف الأغر:



الطرف الأغر، هو اسم منطقة داخلة فى البحر على الساحل الجنوبي الأسباني.

بهزيمة روسيا والنمسا فى آسترليتز انهار إلى حد كبير كيان التحالف الأوربي ضد نابليون، وبقيت إنجلترا بالتالي وحيدة فى ميدان الحرب، ولكنها صارت فى الحقيقة أكثر قوة وأكثر سيطرة على البحر المتوسط بعدما استطاع نيلسون قبل معركة أسترليتز أن يمني الأسطول الفرنسي، والأسطول الأسباني بخسائر فادحة فى موقعة "ترافالجارأو الطرف الأغر"، وبذلك تمكنت إنجلترا من اكتساب لقب سيدة البحار بجدارة حيث لم يستطع أى أسطول بحري آخر مواجهة أو اعتراض أسطولها البحري القوي، لكن إنجلترا خسرت خسارة كبيرة فى تلك المعركة بعدما قُتل خلالها الأميرال الكبير "نيلسون" الذى اكتسب لقب أمير البحار، وخلّدت إنجلترا ذكرى ذلك البطل الحربي الكبير، وذكرى تلك المعركة الكبيرة الناجحة بتخصيص ميدان كبير بلندن يحمل اسم "الطرف الأغر".

- **نابليون ينتقم:**

بعد تلك المعركة التى دمر فيها الأسطول الإنجليزي عددًا كبيرًا من السفن الفرنسية، والسفن الأسبانية فى الطرف الأغر، أصبح نابليون مواجهًا بقوة بحرية مهيبة سيطرت على البحر المتوسط، وهى الأسطول الإنجليزي المنتصر على التحالف الفرنسي الأسباني، وتصديًا منه لتلك القوة ولمحاولة الحد من انتشارها والانتقام منها، لجأ نابليون لمحاولة إغلاق الموانئ الأوربية التى سيطر عليها فى وجه السفن الإنجليزية القادمة إليها بالبضائع، وبذلك تصير السفن الإنجليزية محدودة

الحركة ومحاصرة فى موانيها، فتتعرض رحلات التجارة الإنجليزية للخسائر، وكان نابليون قادرًا على ذلك بعدما تحقق له جزء كبير من السيادة على أراضي، وموانئ أوربا.

• مهاجمة بروسيا..وفتح برلين..وإصدار المراسيم:

لاستكمال مخططه ضد الأسطول الإنجليزي، قام نابليون بمهاجمة بروسيا، وأوقع بالجيش البروسي هزيمتين كبيرتين متتاليتين فى يوم واحد، وهو يوم 14 أكتوبرسنة 1806م، وذلك من خلال معركتي "يينا، وأوستاد"، واستطاع من خلالهما تشتيت القوات البروسية وإضعاف قوتها تمامًا، ثم اتجه إلى برلين، وتمكّن من فتحها وأصدر هناك ما عُرف باسم "مراسيم برلين".



كان المارشال البروسي "فون بلوخر" يمثل عدوًا كبيرًا لنابليون لقدرته المتميزة على تحفيز وشحن الجنود. وقد استطاع القيام بعدة معارك شرسة ضد نابليون.

وفى السنة التالية أصدر كذلك ماعُرف باسم "مراسيم ميلانو" كانت تلك المراسيم تنص على "إغلاق الموانئ الأوربية في وجه كل السفن البريطانية، وبذلك تصير بريطانيا فى حالة حصار اقتصادي"، وقد ردت إنجلترا على تلك المراسيم بأن أعلنت مرسومًا ملكيًا نص على "تحديها لها وشروعها فى محاصرة كل الموانئ الأوربية التى ترفض دخول سفنها إليها"، وكانت إنجلترا قادرة بالفعل على تحقيق ذلك بفضل أسطولها البحري القوي، ولإثبات المزيد من جدارتها البحرية أمام نابليون قامت بتدمير الأسطول الدنمركي المحايد قبل أن يصل إليه نابليون. واستمرت حالة من الصراع غير المباشر بين الطرفين..

- **معاهدة تلست:**

- **الحصار القاري:**

استمرارًا فى تنفيذ نابليون لمخططه ضد بريطانيا لجأ إلى روسيا حيث كانت روسيا فى تلك الفترة بعيدة عن ميدان الحرب حيث إنها فضلت الانسحاب بعدما لم تجد فائدة مرجوة من حلفائها، كما أنها من ناحية أخرى لم تكن على وفاق مع بريطانيا، لذلك فضَّل نابليون الاستعانة بها فى مواجهته لبريطانيا بدلاً من محاربتها، وعلى متن يخت ملكي بنهر "نيمن" دارت مفاوضات بين القائد المنتصر "نابليون"، وقيصر روسيا "ألكسندر" أسفرت عن توقيع "معاهدة تلست" التى بموجبها صار نابليون منفردًا بالسيادة من جهة الغرب

بينما أطلقت يد القيصر من جهة الشرق..بحيث يعمل الطرفان على تنفيذ ما عُرف بالحصار القاري..بمعنى أن يعمل الطرفان على محاصرة بريطانيا تجاريًا، واقتصاديًا بمنع دخول سفنها إلى القارة الأوربية، وشعرت بريطانيا أمام ذلك التحالف بأنها صارت مرة أخرى وحيدة فى ميدان الحرب.



ألكسندر..قيصر روسيا

بعد وفاة أبيه، وضع ألكسندر يده على إمبراطورية روسيا حيث عمل على توسيعها، واستمر فى زيادة نفوذه الخارجي إلى ما بعد انتهاء الحروب البونابرتية حيث انتهى به الحال إلى إصابته بالجنون، واعتزل العرش وقضى بقية حياته كراهب.

• عائلة نابليون تحكم أوربا:

بعد تلك المعاهدة التى صار من خلالها نابليون مسيطرًا على أغلب الأراضي الأوربية قام بتقسيمها. لقد كان نابليون شديد الاعتزاز بأفراد أسرته حيث اعتبرهم هبة من الله، لذلك قام بإهداء عروش بعض الدول الأوربية لإخوته وأقاربه من خلال مخططه لبناء إمبراطورية بونابرتية كبرى، فجعل أخاه "لوسيان بونابرت" ملكًا على هولندا، وجعل أخاه "جيردوم بونابرت" ملكًا على وستفاليا..وجعل أخاه "جوزيف بونابرت" ملكًا على نابولي، ثم صار فيما بعد ملكًا على أسبانيا..بينما أصبح صهره "يواخيم مورات" ملكًا على نابولي، كما خصص مقاطعة لأخته "إليز" عند بلدة "بيومبينو" الواقعة على الشاطئ الإيطالي فى مواجهة جزيرة "إلبا".

• الضيفة الجديدة على عائلة بونابرت:

• زواج نابليون الثاني:

على الرغم من أن نابليون كان مغرمًا بزوجته الحسناء جوزفين إلا أنه بعدما عقد معاهدة صلح مع النمسا-فيما بعد-فى فينا فى أكتوبرسنة1809م قام بتطليقها..وقد اضطره لذلك عدم إنجابها حيث كان هناك حاجة لوريث للإمبراطورية، لذلك جاء زواجه الثاني لأسباب سياسية، وكانت الزوجة الثانية هى"مارى لويز"النمساوية سليلة عائلة هابسبرج العريقة التى تربعت على عرش النمسا لكن ذلك الزواج لم يكن سعيدًا موفقًا..حيث كانت مارى زوجة غير مخلصة له، وتخلت عنه

حينما انقلبت دولتها عليه مرة اخرى لذلك فإن وليده من ذلك الزواج نشأ فى ظل أشخاص يكنون أشد الكره لأبيه.

• نتيجة الحصار

ولكن..إلى أى مدى نجح الحصار القاري الذى لجأ إليه نابليون؟

لقد نجح بالفعل ذلك الحصار فى تقويض قوة بريطانيا البحرية..ولكن فى نفس الوقت لم تتحمل الدول الأوربية الحرمان من البضائع التى كانت تحملها لها السفن البريطانية والتى اعتمدت على كثير منها فى حياتها اليومية، وبذلك ساد شعور بأن نابليون يعمل على خنق الدول الأوربية بذلك الحصار أكثر ما يعمل على تقويض قوة بريطانيا وإذلالها، وعمومًا فقد تفاوتت ردود أفعال تلك الدول تجاه ذلك الحصار القاري على النحو التالي:

• الدنمارك:

كانت الدنمارك بطبيعة الحال تكن حالة من العداء ضد بريطانيا بعدما قامت بتحطيم أسطولها البحري، لذلك فإنها انحازت لفرنسا، وأيدت الحصار القاري.

• السويد:

أما السويد فانحازت لبريطانيا فى بادئ الأمر لكن بريطانيا تخلت عنها، وتركتها تحت رحمة روسيا، لكنها لجأت بعد ذلك لتدبر أمرها وسيادتها فعزلت ملكها الضعيف "جوستاف الرابع" حيث جاء مكانه "شارل الثالث عشر"، وأظهرت فى نفس الوقت انحيازًا

لفرنسا بتعيين المارشال الفرنسي "برنادوت" وليًا للعهد الذى أظهر مهارة عسكرية رفيعة جعلته يُنتخب فيما بعد كملك للسويد تحت اسم "شارل الرابع عشر" وذلك فى سنة 1818م.

• **أسبانيا:**

أما أسبانيا فكانت خاضعة للنفوذ البونابرتي منذ البداية. وقد انتهز نابليون فيما بعد فرصة الصراع بين ملك أسبانيا "كارلوس الرابع" وولي عهده فى السيطرة التامة على البلاد.. حيث نجح فى إغرائهما بالتنازل عن العرش مقابل ضمان سلامتهما، وقام بتولية أخيه "جوزيف بونابرت" ملكًا على عرش أسبانيا فى سنة 1808م، وكان جوزيف يشغل منصب ملك نابولى، وبعدما خلا منصبه تولى العرش مكانه العرش المارشال "مورات" الذى كان زوجًا لإحدى أخوات نابليون.



يواخيم مورات

كان مورات يشغل منصب قائد فرقة الفرسان فى جيش نابليون، وتزوج من أخت نابليون وهى "كارولين". وقام نابليون بتوليته عرش مملكة نابولى.

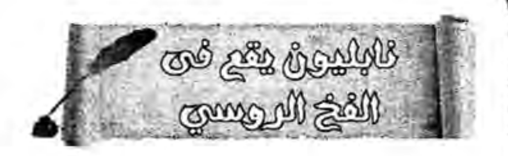
• البرتغال:

أما البرتغال فأبت الخضوع للنفوذ البونابرتي، وظلت رافضة للدخول فى دائرة الحصار القاري، فلم يكن أمام نابليون سوى مهاجمتها، وإجبارها على الخضوع له حيث زحف الجيش الفرنسي بقيادة "جينو" إلى لشبونة عن طريق أسبانيا، وصارت الأسرة المالكة فى خطر مواجهة الجيش الفرنسي القادم، فلم يكن أمامها سوى الهرب حيث لجأت إلى الاستعانة ببعض قطع الأسطول البريطاني التى كانت راسية بمينائها، وهربت بها إحدى السفن إلى البرازيل بينما صارت البلاد تحت حكم القائد الفرنسي "جينو".

• سيِّدة القارة الأوربية:

بذلك امتد نفوذ فرنسا داخل أوربا إلى مدى بعيد بعدما خضعت لسيطرتها كبرى الدول الأوربية، وصار نابليون يتزعم إمبراطورية كبرى امتدت ما بين البرتغال. وأسبانيا، وسويسرا، وهولندا. والسويد، وبروسيا، وإيطاليا، فصارت فرنسا سيدة القارة الأوربية.. بينما ظلت بريطانيا سيدة البحار بلا منازع، واتجه نابليون بعد ذلك لتوسيع إمبراطوريته تجاه الشرق بغزو روسيا..





• الحملة البونابرتية على الشرق:



على الرغم من أن نابليون أعد لغزو روسيا جيشًا من أقوى جيوشه حيث وضع على رئاسته أمهر قادته إلا أنه لم يتنبه إلى الصعوبة البالغة التى قد يواجهها جيشه من خلال الزحف على تلك البلاد المنيعة، والفسيحة مترامية الأطراف التى تمتاز بشتاء قارص البرودة، وهو ما أوقعه فى فخ لم يستطع الخروج منه عندما خطط الروس لسحب الجيش الفرنسي إلى الداخل شيئًا فشيئًا لاستهلاك وبعثرة قواته ومؤنه تدريجيًا، وتعريضه لقسوة الشتاء القارص في موسكو وسط الأراضي الجليدية.

• انطلاق الحملة:

فى شهر يونية من سنة 1812م انطلقت حملة نابليون على روسيا، وبعد عبور الجيش الفرنسي لنهر "بنمن" على الحدود الروسية تراجعت القوات الروسية للداخل، على حسب المخطط الروسي بغرض إغراء نابليون على التقدم، والتوغل داخل البلاد لاستهلاك قوة جيشه، وإبعاده عن قواعده، ووصل الجيش الفرنسي إلى "سملنسك" وظلت القوات الروسية على

حالها متجنبة المواجهة المباشرة معه باستثناء قيامها ببعض المناوشات الخفيفة.

• **معركة بورودينو:**

بدأت الشهور تنقضي شهرًا وراء الآخر حتى حل شهر سبتمبر ببرودته الشديدة..وكان نابليون قد اقترب من مشارف موسكو، وفى ذلك المناخ قارص البرودة الذى لايجد الروس صعوبة فى التكيف معه، بدأت الجيوش الروسية فى الاستعداد لشن هجوم مباشر على الجيش الفرنسي، وعند جسر "بورودينو" أوقعت به هزيمة كبيرة خسر خلالها نابليون نحو 80 ألف جندي من جنوده، كما حرمته من المؤن والإمدادات، مما وضع نابليون فى محنة قاسية، وقد استجمع نابليون بعض قواه، وواصل الجيش الفرنسي بعد مضي أسبوع زحفه تجاه موسكو فى صعوبة شديدة، وهو يتصدى للروس، ويحاربهم فى يأس، وقنوط. وفى موسكو.. كانت المفاجأة.

• **موسكو.. وسياسة الأرض المحروقة:**

عندما وصل نابليون إلى مشارف موسكو شاهدها تتغطى بألسنة اللهب، وتتصاعد منها النيران.. فما الذى حدث؟!.

لقد لجأ الروس إلى سياسة الأرض المحروقة فحرقوا المحاصيل وهربوا الماشية وذبحوا الطيور وقتلوا ما بقي منها بحيث لا يستفيد منها جيوش نابليون الغازية.. وعندما دخل الجنود الفرنسيون موسكو وجدوها مدينة محترقة وخربة وقد قضي فيها على الزرع والضرع فأصيبوا بالدهشة والخيبة

وانسحبوا منها أذلاء صاغرين وقد نال منهم البرد والجوع والتعب.

إن تقدم جيش نابليون، ورغبته فى الاستيلاء على موسكو قد زاد فى الحقيقة من حنق الروس، ففضَّل حاكمها تدميرها بإشعال النيران فيها بكل مكان، واندلعت ألسنة اللهب فى كل اتجاه بشكل سريع حيَّر الفرنسيون فى أمر مصدرها.وعلى الرغم من ذلك بقى نابليون بها حتى يوم 18 أكتوبر وسط كتلة من الخراب والدخان الأسود آملاً خلال تلك الأيام العصيبة أن يأتي إليه "ألكسندر" قيصر روسيا مستسلمًا، وهو ما لم يحدث، وأخيرًا قرر نابليون الانسحاب والتقهقر بعدما وصل جيشه إلى حالة شديدة من الضعف، والخسائر الفادحة، وافتقاد المؤن وسط المدينة المحترقة، والبرد القارص، وأكوام الجليد.ومضى الجيش يجر أذيال الخيبة، وباتت هزيمة نابليون واضحة.



عند وصول الجيش الفرنسي إلى مشارف موسكو شاهدها فى دهشة تتغطى بألسنة اللهب، والدخان.

• العودة إلى باريس:

أصبح نابليون يمتلك جيشًا متهالكًا غير قادر على شن المزيد من المواجهات والحروب، وشق طريق العودة خارج روسيا فى صعوبة بالغة وسط القوات الروسية التى راحت تفتك به من كل جانب، وتحاول أن تقطع عليه سُبل العودة، وخسر نابليون فى تلك المعارك الروسية نحو نصف مليون جندي ما بين قتيل وهارب وأسير، فاضطر العودة إلى باريس منكسرًا خاسرًا.



لوحة فنية تصور نابليون، وهو يتدبر أمره العسير وسط الثلوج. والشتاء القارص فى موسكو بعدما فقد عددًا كبيرًا من جنوده بسبب الجوع والبرودة الشديدة التى لم يعتادوا عليها.

• أصداء هزيمة نابليون:

•تحالف أوربي ضد نابليون الخاسر:

لقد وضعت هزيمة الجيش الفرنسي فى روسيا، واضطراره للانسحاب منها خاسرًا "نابليون" فى وضع حرج داخل أوربا حيث انقلبت أغلب الدول الأوربية عليه.

• بروسيا تغيّر موقفها:



الملك فريدريك ويليام

فى سنة 1797م، تولى فريدريك ويليام عرش بروسيا، وكان يتبع سياسة محايدة تجاه فرنسا، كما كان يتميز بالطيبة وضعف الشخصية، واستطاعت زوجته الملكة وبعض قادة جيشه دفعه إلى دخول الحرب ضد نابليون.

على الرغم من أن بروسيا كانت منحازة لنابليون فى البداية إلا أنها غيرت موقفها تجاهه بعدما قام الجنرال "يورك" قائد القسم الشرقي بقلب نظام الحكومة، وتغيير سياستها الخارجية حيث أعلن عن وقوف بلاده إلى جانب روسيا، وقد حاول الملك "فريدريك ويليام" أن يثنيه عن ذلك لكن بروسيا كانت قد أفاقت من غفوتها، فاتجه الرأى العام إلى معاداة فرنسا، ومناصرة روسيا بموجب معاهدة "كاليش" التى وُقِّعت فى شهر فبراير، وفى الشهر التالي أعلنت بروسيا الحرب على نابليون.

• النمسا تنضم للتحالف ضد نابليون:

وفى النمسا أصبح الداهية "كليمنس لوثر فنزل مترنيخ" وزير خارجيتها فى سنة 1809م، وكان رجلاً سياسيًا من الطراز الأول، وقد تحول بعد هزيمة نابليون فى روسيا إلى التحالف ضده، ثم تبعته السويد، وقد أصبح "مترنيخ" بعد سقوط نابليون فى سنة 1815م من أبرز رجال السياسة فى أوربا.

• معركة ليبزيج:

كما انقلبت النمسا على نابليون وخرجت من حالة التصالح معه، وراح نابليون يعيد تنظيم صفوف جيشه من جديد استعدادًا للقتال، وعلى الأراضي الألمانية خاض معركة قاسية ضد الجيوش النمساوية وحلفائها التى فاقت جيشه من حيث العدد بنحو ثلاث مرات، وخسر نابليون المعركة عند "ليبزيج"، وفقد بالتالي قبضته على الأراضي الألمانية.



عرفت معركة "ليبزيج" باسم آخر. وهو معركة "الأمم" بعدما تحالفت عدة دول أوربية ضد نابليون. ودفعته للهزيمة فى تلك المعركة التى وقعت فى الفترة ما بين 16 ـ 18 أكتوبر سنة 1813م.

• توالي الهزائم:

وعلى جانب آخر كان "دوق ولينجتون" قد تمكن من إيقاع هزيمة كبيرة بالجيش الفرنسي فى أسبانيا فى موقعة "فيتوريا" حيث قام بطرد الفرنسيين للخارج عبر جبال "البرانس"، كما تمكن "مترنيخ" من كسب الأمراء الألمان إلى صفه بعدما أغراهم بالسيادة والسلطة، وبذلك كسب دعمًا جديدًا ضد نابليون.

• **استسلام نابليون للهزيمة:**

تجمع أعداء نابليون من حوله، وحاول جاهدًا وقف تدفقهم إلى باريس لكن جيشه كان قد تناقص عدده بدرجة كبيرة، كما افتقد جنوده روح القتال، فاستسلم "مارمونت" قائد باريس أمام قوة الحلفاء، وأمام انتصارات "دوق ولينجتون" الذى كان هناك، شعر نابليون باليأس وقلة الحيلة خاصة بعدما هجرته زوجته "مارى لويز" حيث عادت إلى فيينا. وفى 11 أبريل 1814م تنازل نابليون عن العرش دون قيد أو شرط.

• **نابليون فى جزيرة إلبا:**

بعد استسلام نابليون عامله الحلفاء برفق واحترام، وحفظوا له لقبه كإمبراطور، ثم نفوه إلى إمارة جزيرة "إلبا"..وهى جزيرة صغيرة تقع فى البحر المتوسط بالقرب من سواحل إيطاليا.

• **لقاء الدول المنتصرة، وإعادة تنظيم أوربا**

• **معاهدة باريس:**

لكن..كيف صار الحال فى أوربا بعد هزيمة نابليون وتنازله عن العرش، ورحيله إلى جزيرة إلبا؟، لقد أصبحت الدول المنتصرة المتحالفة هى صاحبة السيادة فى أوربا حيث

تولت أمر تنظيم النواحي السياسية، ومناطق النفوذ، فاجتمع كل من النمسا وبروسيا، وروسيا وبريطانيا، والسويد وأسبانيا والبرتغال؛ لعمل تسوية عاجلة للوضع من خلال "معاهدة باريس" التى تم إرجاء تفاصيلها إلى مؤتمر آخر فى فيينا قرروا عقده فى فصل الشتاء.

• **فرنسا:**

ففى فرنسا، وبعد رحيل نابليون عنها وصل أصحاب النفوذ الملكي إلى الحكم، وأعادوا لها الملكية التى تمثلت فى شخص الملك "لويس الثامن عشر"، وهو شقيق الملك "لويس السادس عشر"، وبذلك عادت عائلة "بربون" إلى الحكم البربوني من جديد، وتعهد الملك بقبول دستور جديد للبلاد، كما تقرر إعادة تشكيل حدود فرنسا إلى ما كانت عليه قبل بدء الحرب فى سنة1792م..وتبعًا لذلك تنازلت انجلترا عن كثير من المستعمرات التى كانت قد استولت عليها من فرنسا وهولندا، لكنها احتفظت بمستعمرة "الرأس" التى احتلتها فى سنة 1806م.

• **إيطاليا:**

وفى إيطاليا احتفظت النمسا بإقليم البندقية..بينما بقى الملك "مورات" على عرش مملكة نابولى..وكان قد تحالف من قبل مع نابليون، ثم تخلّى عنه بعد ذلك، وأعيد الملك "فيكتور عما نويل" ملكًا على سردينيا وسافوى، وبدمونت.

• **هولندا وألمانيا :**

عاد "ويليام أورانج" مرة أخرى ملكًا على هولندا، وانضمت بلجيكا إلى مملكته، بينماأعيدت "هانوفر" إلى حيازة جورج الثالث، وأصبح ملكًا عليها.

• **وارسو وسكسونيا :**

أما عندما تمت مناقشة أمر وارسو، وسكسونيا اللتين استولى عليهما نابليون، فإن كلًا من بروسيا وروسيا والنمسا قد اختلفوا حول أمر حيازتهما، وبذلك بدأ حدوث خلافات بين الدول المنتصرة لكنها حُسمت فيما بعد.



نابليون يهرب من منفاه ويتلقى ضربة قاضية

• القائد العنيد:



إن قائدًا بمثل بسالة وطموح نابليون ما كان ليرضى بالخنوع بسهولة..فقد كان عنيدًا شديد الإصرار على الفوز ومحو الهزيمة، فبعدما نشبت خلافات بين الـدول المنتصرة حـول تقسيم بعض المناطق الأوربيـة فيما بينها، وبعدما أبدى الشعب الفرنسي حالة من القلق، وعدم الارتياح بسبب عودة الحكم الملكي البربوني مرة أخرى، والذى تمثل فى شخص لويس الثامن عشر، قرر نابليون انتهاز تلك الفرصة للعودة إلى فرنسا، واستغلال تلك الظروف فى استعادة عرشه من جديد خاصة أنه كان لايزال محتفظًا بشعبية كبيرة داخل فرنسا على الرغم من هزيمته النكراء فى روسيا.

• الهروب من جزيرة إلبا:

• صاحب القبول الشعبي، والشخصية الجذابة:

لقد قضى نابليون فى تلك الجزيرة عشرة شهور جعل منها مملكته الصغيرة، لكنها لم تعوضه أبدًا عن التشبث بأطراف إمبراطوريته الكبرى التى أقامها، فظل حُلم العودةوالسيطرة

يراوده من وقت لآخر، وفى السنة التالية 1815م تسلل نابليون من جزيرة "إلبا" إلى مدينة "كان" الفرنسية..وهناك دعا الفرنسيين لمؤازرته، كما دعا قادة جيوشه القدامى إلى الانضمام إليه من جديد بعدما أقسموا يمين الولاء للحكومة الجديدة، واستطاع نابليون كسب الكثير من المؤيدين على مدار رحلته فى اتجاهه إلى باريس..وكان من بينهم القائد الحربي السابق "نِي" الذى اشتهر بكفاءته الحربية، ولكن.. ألم يلقَ نابليون أية مقاومة أو اعتراضًا من جرَّاء ذلك التسلل غير المشروع؟القد حدث بالفعل أن أرسلت بعض الجيوش لرده عن باريس، لكن نابليون صاحب الشخصية القوية الساحرة استطاع كسبهم إلى صفه، وعند ممر ضيق يسمى "لافريه" فى الجهة الجنوبية لبلدة "جرينول" حاولت فرقة عسكرية اعتراضه، فتوجه إلى الجنود قائلاً: "أيها الجنود..يمكنكم أن تطلقوا ناركم.ألا ترون فىّ عاهلكم؟، ألست قائدكم القديم؟ ليس الطمع هو الذى حدا بي إلى هنا، وإنما طلبني من جزيرة إلبا الخمس والأربعون رأسًا المتولية أمر الحكم فى باريس"، واستطاع نابليون الوصول إلى باريس دون إراقة قطرة دم واحدة، وبدأ نابليون فى إعداد جيش قوي يمكنه من الانتصار على أعدائه المتحالفين ضده.

• لقاء الدول الأوروبية فى فيينا:

• مؤتمر فيينا:

لقد شعر أغلب الشعب الفرنسي بالسرور لقدوم نابليون ثانية حيث إنه ظل فى نظرهم البطل الوطني المنقذ لفرنسا،

وعندما وصل نابليون إلى القصر الملكي كان الملك قد فرَّ من قصره، وأبى مقابلته حيث كان يعلم تمامًا أن قدومه سيقلب أمور فرنسا رأسًا على عقب، وينحيه عن منصبه، أما الدول الأوربية فسارعت بعقد لقاء جمع بينهم فى "فيينا" لبحث ذلك الأمر الخطير، واعتبرت عودة نابليون خطرًا على أوربا بأكملها، ولابد من القضاء عليه، واحتاج ذلك عدة أشهر لكى تتمكن الدول المتحالفة ضد نابليون من إعادة تنظيم جيوشها.

- **دوق ولينجتون:**

أعد الحلفاء الأوربيون جيشًا ضخمًا لملاقاة نابليون الذى يتفوق على جيشه بفارق كبير واضح أنبأ بهزيمة نابليون المتوقعة حيث كان نصف ذلك الجيش الضخم من الإنجليز، والنصف الآخر من أجناس مختلفة اشتملت على جنود بلجيكيين، وهولنديين، وبروسيين، واتخذ الجيش من الأراضي البلجيكية مركزًا له، أما قائد ذلك الجيش الضخم فكان القائد الإنجليزي الماهر "دوق ولينجتون"، أما الجيش البروسي فكان تحت قيادة "بلوخر" الذى اشتهر بمهارته الحربية.

- **معركة واترلو[1] الحاسمة:**

لاحت فى الأفق بوادر معركة حامية ساخنة..حيث اتجه جيش نابليون للقاء جيش الحلفاء بقيادة "دوق ولينجتون" الذى كان متمركزًا حول بروكسل ببلجيكا، واستطاع نابليون السيطرة على مدينة "شالروا" التى كانت بيد البروسيين.. ثم اتجه إلى قرية "لينى"، وهى قرية صغيرة أراد من اجتياحها الفصل بين

(1) واترلو: مدينة تقع في وسط بلجيكا بالقرب من بروكسل العاصمة.

الجيش الإنجليزي وحلفائه، والجيش البروسي، وبدأ الجيش الإنجليزي شن هجوم على جيش نابليون حيث استطاع وقف القائد الفرنسي "ني" عن التقدم.. بينما تولى "دوق ولينجتون" الدفاع عن بروكسل، وتركز جيشه عند منطقة "واترلو" حيث كان من المتفق عليه أن يتقابل هناك جيش الحلفاء بقيادة "دوق ولينجتون"، والجيش البروسي بقيادة "بلوخر"، وهناك استطاع دوق ولينجتون أن يقود الحرب بمهارة، وأن ينزل على نابليون وجيشه هزيمة ساحقة فى موقعة لاينساها التاريخ، وهى موقعة "واترلو" التى أطاحت بنابليون إلى الأبد حيث كانت آخر الحروب البونابرتية، وقد جرت أحداثها فى 18 يونيه سنة 1815م.



لوحة فنية تصور مشهدًا من معركة "واترلو" العنيفة التى كانت تمثل آخر سلسلة من الحروب البونابرتية.

• نابليون يغادر فرنسا إلى الأبد:



إنه على الرغم من خسارة نابليون فى تلك الحرب إلا أنه نال إعجاب أعدائه لمهارته الحربية العالية، لكن التفوق العددي الكبير من جانب جيوش الحلفاء لعب دورًا أساسيًا فى إرساء كفة الحرب لصالحهم، ولكنه رغم الهزيمة ظل نابليون بشخصيته المثابرة الطموحة ميالاً لإعادة الحرب من جديد على الأعداء.. وقد ظهر ذلك فى نص خطاب بعث به إلى أخيه "جوزيف" حيث أعرب عن إمكانية تجهيز عدد كبير من المقاتلين، لكن فكرته لم تلقَ القبول الكافي، وعاد نابليون إلى باريس، وعلى الرغم من خسارته فى الحرب إلا أنه وجد له أنصارًا يهتفون له عند قصر "الإليزيه"، وكان من الممكن استغلالهم لتقوية مركزه وإحداث انقلاب جديد على غرار انقلاب بريمير، ولكن يبدو أن تلك الروح الثائرة لم تعد تتوفر لديه خاصة وأنه وجد أعوانه داخل مجلس الدولة قد تفرقوا، ولم يكن من الممكن أن يكتسب سلطة قيادية جديدة، فاضطر مرة أخرى للتنازل عن العرش وقيادته للجيوش حيث



ودع الجيش الفرنسي بخطاب شجي مؤثر معربًا خلاله عن أسفه لفراقه، واعتزاله الحياة العسكرية، وقررت الحكومة الإنجليزية بناءً على تعاهدها مع الحلفاء الخلاص من ذلك الرجل الذى طالما أزعج أوربا بحروبه بنفيه خارج فرنسا، وإرساله إلى جزيرة بعيدة تقع فى جنوب المحيط الأطلسي، وهى جزيرة سانت هيلينا، وسَلَّم نابليون نفسه إلى قائد السفينة الحربية الإنجليزية "بليروفون" لتمضي به إلى هناك، وفى تلك الجزيرة الصخرية الوعرة عاش نابليون أيامًا عصيبة وسط مياه البحر العالية، والعواصف الشديدة، وقد كان حزينًا على أحوال فرنسا التى اضطرتها جيوش الحلفاء للرجوع إلى العهد البائد، لكنه كان متفائلاً بنهوض فرنسا من جديد، وواثقًا من أن إمبراطوريته التى كونها، ودفعت فرنسا نحو المجد، وقامت على أسس حديثة لن ينساها الفرنسيون، وستظل دافعًا لهم نحو قيام دولة جديدة قوية تعيد أمجاد فرنسا مرة أخرى، وتعرّض نابليون فى منفاه لمرض شديد كان يقاومه بصبر وثبات..وبعد مرور ست سنوات منذ وصوله للجزيرة أسلم روحه إلى خالقه فى يوم15مايو سنة1821م حيث كان عمره 52عامًا.

هل مات نابليون مسمومًا؟

• مات الإمبراطور «البائس» وترك وراءه لغزًا كبيرًا!!



في حوالي الساعة السادسة مساء يوم 5 مايو سنة 1821م مات نابليون بونابرت في منزله بالمنفى في جزيرة «سانت هيلينا» أمام الساحل الغربي لإفريقيا وكان عمره 51 عامًا.. بعد أن قضى بالجزيرة ست سنوات منذ هزيمته في معركة «ووترلو».. تحولّ خلالها الإمبراطور الكبير الذي أثار الرعب في أوروبا بأكملها - إلى إنسان وحيد بائس يعيش بين آلام المرض وذكرى الانتصارات والأمجاد.. وكانت حالته الصحية في تدهور.. فكان يعاني من أعراض مرضية مختلفة لكنها عمومًا لم تكن أعراضًا خطيرة.

فكان دائم الشكوى من برودة قدمه بالإضافة إلى إصابته بالبواسير. ولا شك أن سوء حالته النفسية في المنفى قد أثر كذلك على حالته الجسمانية.. حيث عاش وحيدًا بلا أصدقاء تقريبًا وحُرم من رؤية ابنه وزوجته.

وعاش نابليون مع متاعبه الصحية طوال الفترة بين 1818م حتى 1819م دون أن يفحصه أي طبيب.

• سرطان المعدة يهدّد نابليون:

وعندما ساءت حالته الصحية عما كانت عليه وجدَّت عليه أوجاع جديدة بالبطن، طلب حاكم الجزيرة «سير هدسون لوي» أن يحضر لفحص نابليون الطبيب الإنجليزي دكتور انتو مارشي.. ليس من أجل نابليون في الحقيقة وإنما ليتبين سير هدسون ما إذا كان مناخ الجزيرة يصيب الكبد بمتاعب.. حيث كان هناك احتمال ذلك..

وكان مجيء الطبيب الإنجليزي على غير رغبة نابليون إذ كان يخشى أن يضع له سُمًا للخلاص منه لكُره الإنجليز له.

وحتى أكتوبر سنة 1820م، وبناء على ما ذكره «سيروليام دوفيتون»، وهو من سكان الجزيرة، كانت حالة نابليون لا تزال مطمئنة.. فيذكر سير وليام أن نابليون كان يزداد في الوزن بدرجة ملحوظة رغم شكواه من متاعب بطنه.. وقال عنه: «إنه كان يبدو سمينًا ممتلئًا كالخنزير الصيني»!

ولكن في يناير 1821م قال نابليون للمحيطين به «يبدو أنه لم يتبقَّ الكثير».. فكان يشعر أن أجله قد اقترب.. وكما أعلن «الكونت دي مونتولون» الذي رافق نابليون في منفاه: أنه مصاب بمرض Maladie de langueur.. الذي كان يقصد به مرض السرطان.. وطلب مونتولون إبلاغ الحكومة الفرنسية بإصابة نابليون بهذا المرض باعتباره سبب الوفاة.. وذلك بناء على نتيجة فحص دكتور انتومارشي.

• ظهور أعراض جديدة وغريبة:

ومنذ ذلك الوقت جدّت على نابليون أعراض أخرى كانت تشمل: الشعور بالعطش - الغثيان - ضعف النبض - كحة جافة- الإحساس بحرارة داخلية - رجفة الجسم.

وبدأ يرفض تناول أي دواء واكتفى بتناول عصير البرتقال وشراب الشعير.. وبعد فترة امتنع عنهما كذلك واكتفى بتناول النبيذ.. وذهب فكره في ذلك الوقت إلى حادث وفاة والده.. حيث مات مصابًا بسرطان المعدة، واعتقد نابليون أن نهايته ستكون بالمثل لاحتمال وجود عامل وراثي جعله يصاب بسرطان المعدة.

• تشريح جثة نابليون!

وفي 28 إبريل من نفس السنة أوصى نابليون بأن تُشَرَّح جثته بعد الموت - بشرط ألّا يقترب منها أي طبيب إنجليزي - وأن يؤخذ «قلبه» ويحفظ في النبيذ ويرسل إلى زوجته.. أما معدته فتفحص بعناية لمعرفة سبب المرض. ثم تُرسل إلى ابنه!!.. لكنه لم يحدث شيء من ذلك.

وخلال اليومين السابقين لوفاته عاش نابليون على تناول الكالومل أو (الزئبق الحلو) بغرض تخليص الجسم من سموم المرض.. لكنه بعد عدة أيام تالية مات نابليون.

وحضر لتشريح جثة نابليون سبعة أطباء من بينهم ستة من الإنجليز على غير رغبة المتوفى.. وأقر الأطباء بعدم وجود علامات مرضية خطيرة باستثناء قرحة بسيطة بالمعدة.. والتي وصفها الدكتور انتو مارشي بأنها من النوع السرطاني.

ودُفن نابليون بالجزيرة في منطقة «سلينز فالي Slanes Valley» على بعد 2 ميل من منطقة «لونجوود» التي أقام بها نابليون.. وكان قبره عاديًا للغاية.. ورفض سير هدسون حاكم الجزيرة وضع أي لافتة على قبره!!

وبعد مرور 19 سنة نقل جثمانه داخل أربعة أكفان إلى باريس.. وعندما أزيح عنه الكفن وجدوا جثته محفوظة بعناية وكانت لا تزال تدل عليه ولم يصدر منها أي روائح عفنة!!

• إعادة البحث في أوراق الماضي:

ومع الوقت نسى الجميع حادث وفاة نابليون بونابرت باستثناء أشد المعجبين به، وكان أبرزهم طبيب أسنان سويدي اسمه «ستين فورشوفود» كان له خبرة طبية واسعة.. وقد عكف «ستين» لفترة طويلة على قراءة كل ما يتعلق بحياة نابليون بونابرت.. وفي سنة 1955م استرعى انتباهه شيء غريب في حادث وفاته جعله يُفضي بأمر خطير وهو أن نابليون لم يمت بالسرطان وإنما مات مقتولاً!!

فقط لاحظ «ستين» أن كل البيانات تشير إلى أن نابليون كان يزداد في الوزن بدرجة ملحوظة أثناء فترة معاناته من متاعب المعدة بسبب احتمال إصابته بالسرطان.. وهو ما لا يتماشى إطلاقًا مع سرطان المعدة فالمفروض أن يحدث العكس.. ولاحظ كذلك أن الأعراض المرضية التي طرأت على نابليون في الأيام السابقة لوفاته كانت تشير إلى علامات الإصابة بتسمم الزرنيخ مثل شكواه من سخونة داخلية وعطش دائم بالإضافة إلى ضعف النبض، كما رأى

«ستين» أن تناول نابليون «للكالومل» قبل وفاته بالإضافة لدواء «طرطر اميتك» جعل جسمه يتخلص من بقايا الزرنيخ فلم يظهر للمادة السامة أثر بجثته بعد تشريحها.

وفي ذلك الوقت أعلن طبيب اسمه «هاميلتون سميث» بجماعة جلاسجو - عن توصله لاختبار جديد لتشخيص حالات التسمم بالزرنيخ.. يعتمد على فحص عينة من شعر الرأس (على أساس وجود المادة السامة بجذور الشعر). فاستطاع الطبيب «ستين» أن يحصل على عينة من شعر رأس نابليون أخذت قبل وفاته مباشرة وأرسلها للطبيب صاحب الاختبار.. وكانت مفاجأة مذهلة حين جاءت نتيجة الاختبار إيجابية.. أي أن سبب الوفاة هو التسمم بالزرنيخ!!

• مَنْ الذي قتل نابليون؟!

ولكن.. كيف وصل السم إلى نابليون؟.. كان ذلك هو الأمر الثاني الذي بحثه «ستين» رأى ستين من خلال بحثه في سيرة نابليون قبل وفاته.. أن الطبيب «انتو مارشي» قد وصل إلى الجزيرة في سنة 1819م، أي بعد ظهور أعراض التسمم على نابليون، لذلك استبعد أن يكون أحد من الإنجليز بصفة عامة قد أقدم على ذلك لكي لا ينتهي الأمر بفضيحة دولية.

إن الشخص الوحيد الذي من المحتمل أن يكون قد قام بقتل نابليون هو رفيقه في المنفى «مونتولون».. حيث إن وجوده لم يكن له ضرورة من ناحية.. وكان من الممكن أن يعيش حياة أفضل في فرنسا بدلًا من وجوده في الجزيرة.. ومن ناحية أخرى أنه كان المسئول عن إحضار النبيذ الذي كان يحتسيه

نابليون، فمن المحتمل جدًا أن حضوره إلى الجزيرة بعد وصول نابليون إليها كان بغرض قتله. ومن المحتمل أيضًا أن ذلك كان عن طريق وضع السم لنابليون في زجاجات النبيذ!

كما ظهر لستين من خلال دراسته للموضوع أن مونتولون كان يحث الأطباء على إعطاء نابليون «الكالومل» قبل و فاته بفترة بسيطة وبعد أن ساءت حالته الصحية إلى أقصى حد.. فرأى أنه ربما كان يقصد بذلك أن يساعد «الكالومل» على تخلص الجسم من آثار الزرنيخ حتى لا يظهر بجثة نابليون ما يشير إلى حدوث الوفاة بسبب التسمم.

كما رأى «ستين» من خلال سيرة نابليون أن «الكونت دي ارتوا» وهو من أحفاد الملك لويس الثامن عشر كان من أشد الكارهين لنابليون بونابرت بعد أن قُتل أجداده على يد الثورة الفرنسية في حين تمكن نابليون من الوصول إلى السلطة التي كان يطمع هو شخصيًا في الوصول إليها.. مما جعله حاقدًا على نابليون بونابرت وكل ما يتعلق بالثورة الفرنسية. علاوة على ذلك أنه دبّر مؤامرة لقتل نابليون بعد أن نفته الثورة إلى اسكوتلاندا.. لكن المحاولة باءت بالفشل.

من هنا اتضحت الأمور تمامًا في ذهن «ستين» حيث أدرك أن «الكونت دي ارتوا» هو الذي كلّف مونتولون بالسهر على نابليون في المنفى لا ليبقى برفقته وانما لقتله.

بناء على ذلك توصّل الطبيب «ستين فورشو فود» إلىأن نابليون لم يمت ميتة طبيعية وإنما مات مقتولًا بتدبير من «الكونت دي ارتوا».

لكنه رغم هذا الاستنتاج المذهل الذي توصّل إليه «ستين» لا نستطيع أن ننكر احتمال موت نابليون ميتة طبيعية بسبب إصابته بسرطان المعدة.. وذلك لعدة أسباب:

أولًا: إن نابليون كان مريضًا أصلًا عند وصوله إلى الجزيرة، وقد ظّل يعاني لفترات طويلة حتى قبل نفيه إلى الجزيرة من نوبات من القيء والمغص كانت تشير إلى إصابته بمرض مبهم بالمعدة.

ذلك بالإضافة إلى أن نابليون كان معرضًا أصلًا لسرطان المعدة بحكم العامل الوراثي حيث مات أبوه بنفس المرض.

ثانيًا: إن الفحوص التي أجريت لنابليون سواء قبل وفاته أو بعد تشريح جثته لا يجب أن يؤخذ بها حيث كان الطب في ذلك الوقت مختلفًا بدرجة كبيرة عن الطب الحديث.. فلم يكن بإمكان الأطباء في أحيان كثيرة تشخيص مرض السرطان.

- **نابليون والحوائط المسممة بالزرنيخ!**

لم ينته حادث وفاة نابليون عند ذلك الحد، ففي سنة 1982م جاءت مفاجأة جديدة أثارت بعض الشكوك حيث صرّح دكتور «ديفيد جونز» بعد دراسات مكثفة تصريحًا غريبًا أذاعته إذاعة الـBBC في أحد برامجها.. وكان يقول: «إن ورق الحائط في غرفة نابليون بالمنفى كان يحتوى على مادة الزرنيخ».. وهو شيء ليس غريبًا إذ كانت تستخدم مادة النحاس الزرنيخي (Copper arsenic) في الماضي كمادة ملوّنة لبعض الوسائل ومنها ورق الحائط.

ولكن.. هل من الممكن أن يكون وجود هذه المادة على الحوائط أدى لتسمم نابليون؟!.. لا شك أنه أمر مستبعد وإلّا لكان أصيب بالتسمم كل مَنْ جاءوا إليه في حجرته.. إلّا إذا افترضنا أن نابليون كان شديد «الالتصاق» بالحوائط بطرق مختلفة سواء بكثرة الاستناد على الحائط أو كثرة ملامسته بأصابع اليد أو غير ذلك من التصورات البعيدة.

ولا يبقى في النهاية إلّا أن نقول: «إن وفاة نابليون بونابرت ستظل أمرًا غامضًا بعد ما أثاره الطبيب السويدي «ستين فوشو فود» في سنة 1955م، وما ذكره مؤخرًا الدكتور «ديفيد جونز» في سنة 1982م».

فهل مات نابليون بسرطان المعدة أم مسممًا بالزرنيخ؟!

لا أحد يدري..

• أين دفنت جثة نابليون؟

وضع نابليون فى تابوت خشبي فاخر..ودفن بالقرب من مجرى مائي بالجزيرة اعتاد على الشرب منه أثناء فترة إقامته..وكان يحيط به أزهار الجيرانيوم ذات الرائحة الذكية لذلك اكتسب هذا المكان اسم "وادي زهرة الجيرانيوم".



من أقوال نابليون المأثورة



- **الرجل القوي:**

هو الذى يتمكن من فصل العلاقة بين عقله وقلبه، وقطع الصلة بين شعوره وأفكاره.

- **القوة..ومكانتها الكبيرة:**

القوة موضع احترام دائمًا.. ولا يوجد إلا سر واحد لقيادة العالم..هو أن تكون قويًا فحسب؛ لأن القوة ليس فيها خطأ، ولا تردد.

- **قيمة الناس:**

الناس كالأرقام الحسابية، قيمتها بأوضاعها.

- **العفو:**

أشياء كثيرة يمكن العفو عنها إلا الفساد.

- **الرجل النبيل:**

يُعرف بسلوكه تجاه زوجته، وأسرته، وخَدَمه.

- **أهمية التاريخ:**

التاريخ بمثابة مرآة للعقل البشري.

• **الحب:**

الحب مشغلة الخامل، ومضيعة الجندي، وعثرة الملك.

• **العمل الجيد من صنع يديك:**

لا ينجح إنسان فى عمل إلا إذا تولاه بنفسه.

• **الفعل لا القول:**

هناك أناس يجيدون القول، ولكنهم يعجزون عن أضعف الأعمال.

• **سر عظمة نابليون:**

إن ما أنا عليه الآن، هووليد الإرادة والخُلق السامي، والإتقان والجرأة.

• **الرحمة..والسلطة:**

إذا اتصف ملك بالرحمة فنصيب حكمه الفشل.

• **الشىء النادر فى الوجود:**

لا شىء أندر من الإخلاص الدائم.

• **شبابك يصنع مستقبلك:**

إن كل ساعة تضيع فى زمن الشباب تتسبب فى وقوع شقاء أكيد فى المستقبل.

• **أهمية التجارب فى حياة الشعوب:**

لا تصبح الأمم حكيمة إلا بالتجارب.

• **ثلاثة أنواع من البشر:**

الأحـمـق، يتحدث عـن الـماضـي.. والحكيم يتحدث عن الحاضر.. والمجنون، يتحدث عن المستقبل.

• **الكذب:**

قد تضطر للكذب أحيانًا..ولكن لاينبغى أن تكذب دائمًا.

• **الرجل والمرأة:**

الرجل الذى يترك قِيادَهُ فى يد امراته ليس رجلاً..وليست زوجته امرأة.

• **أنواع النساء:**

المرأة الجميلة تسرُّ البصر، والمرأة الطيبة تشرح القلب، فالأولى جوهرة، والثانية كنز.

• **ابحث عن المرأة:**

فى أكبر الجرائم فتش عن المرأة، وفى أصغر الأحداث فتش عن المرأة.

• **الرجل الناجح ..والرجل الفاشل:**

وراء كل عظيم امرأة أوصلته إلى هذا المجد، ووراء كل حقير امرأة دفعته إلى هذا السقوط.

• **السياسي الحكيم:**

يجب أن يكون قلب السياسي فى رأسه.



• المراجع الأجنبية:

- ENCYCLOPEDIA OF UNIFORMS OF THE NAPOLEONIC WARS,DIGBY SMITH.
- THE NAPOLEONIC WARS,TODD FISHER.
- 100 GREAT LEADERS,GRANDR EAMS BOOK.
- 100 EREAT KINGS,QUEENS,AND RULERS OF THE WORLD,JOHN CANNING.
- NAPOLEON,EMILL LUDWIG.
- NAPOLEON S EGYPTIAN CAMPAIGNS 17981801-, MICHEL BARTHORP.
- WORLD HISTORY ENCYCLOPEDIA,MILES KELLY.

• المراجع العربية:

- نابليون ، تأليف هربرت فشر، ترجمة الأستاذ / محمد مصطفى زيادة، والأستاذ / محمد نوفل. دار المعارف.
- مصر ولع فرنسي ، تأليف روبير سوليه، ترجمة الأستاذ / لطيف فرج. مكتبة الأسرة.
- عظماء، ومشاهير، دكتور أيمن أبو الروس.
- كُلماء لنابليون ، دكتور ممدوح حقي. مكتبة المعارف الرباط.


الفهرس

نابليون بونابرت




ISBN 978-977-447-031-8
6222008 909480